

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

السرورية

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

تصدر مرتين في أول كل شهر وفي نصف

العدد الحادي عشر ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦ - ١ يولييه سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة			
٦٥٠	عذراء حلب	...	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٦٥٧	في الروح	...	بقلم أحمد فتحي مرسى
٦٦٣	يوميات نائب في الأرياف	...	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٦٦٤	عائيل	...	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
٦٧٤	في شجرة الموت	...	بقلم الأستاذ عبد الحميد حدى
٦٨٢	الرسالة الأخيرة	...	بقلم محمد عبد الفتاح محمد
٦٨٧	الطفل السيد	...	بقلم شكري محمد عباد
٦٩٢	النقد الذهبي	...	بقلم محمد المزواي
٦٩٧	اعترافات فتى العصر	...	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٧٠٤	الأوذيسة	...	بقلم الأستاذ دريني خشبة

قوتيهما إلى سهول
سورية ووجهتهما حاب

وكان يوم من أيام
الربيع والنسيم البليل
يحب على جنائن
حاب المطوقة المدينة

عَدَاةُ حَلَبَ

لِلْأَسْتَاذِ فَيْدُكُوسْ فَارَسْ

فحسبها عقوداً على نحر حسناء .
هنالك ، في تلك المدينة التي
تنصب الخيرات إليها من
جهاتها الأربع : مصر
وطرابزون وبغداد
وأرضروم ، كان شعب
كبير من بقايا مملكة الدنيا ،
بملكة الرومان الخالدين
يقوتهم وضغفهم وضلالهم
ورخانهم

منذ ٢٧ سنة كنت أنصفح تاريخ العرب ،
فخطر لي أن أنشيء منه أقاصيص أضمتها الوقائع
بأمانة المؤرخ وأنسج برديتها بخيال الشاعر ،
وما كان في ذلك العهد من بهيم للأقصوصة
فيا أذكر لا ترجمة ولا تأليفاً . كتبت هذه
الأقصوصة ونفرتها في جريدتي التي كانت
تصدر باسم (لسان الاتحاد) سنة ١٩١٠ في
بيروت ، وأردت متابعة التأليف فاجتاحت قلبي
عواصف السياسة تردده من الماضي إلى الحاضر .
ومرت السنين فإذا أنا أرى هذه الأقصوصة
بين مئات الصفحات التي أملتها السياسات الحوالة
كحجر كريم يلتصق على أكوام من الرماد .
فليكس فارس

ولما فتح بيت المقدس
أبوابه لعمر بن الخطاب ، وقف
هذا الخليفة العظيم على أطلال
مملكة الرومان وآثار الملك
الخالد الذي وضع أساسه
رجل ليس من هذا العالم ،
وقف الخليفة حزيناً على تلك
الأرض المقدسة التي دنسها
الرخاء وتحولت فيها أشرف
المبادئ إلى طقوس وأوهام ،

فلم يملك النفس أن يحمدج البطريق سفير ونيوس بنظرة
مأكثر من يستحقها من كاهن وشيخ في هذه الأيام
وكان الحجر الذي ألقى بمقوب رأسه عليه
ليجلم حلمه المشهور مغطى بالأقذار ، فأمر الخليفة
أتباعه بتطهير ذلك المكان حيث بنى الجامع الفخم ،
ثم دعا إليه أبا عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وخولهما
السيادة على سورية وفلسطين ، فكانت بلاد قيصرية
فيلبس نصيب يزيد ، وسورية على رجبها نصيب
أبي عبيدة . فتحت فلسطين أبوابها ليزيد ، وكانت
قرية رام الله أول من أبرم عهداً مع الفاتح ، ولكنه
وقف عند أبواب قيصرية لناعمتها ، ونحول عنها
راجعاً إلى أبي عبيدة فانضم الجيشان العربيان ودفعا

وكانت حلب ، بمدائنها العديدة منفردة على
سهولها الحصبة الخضراء كأنثريا بنجومها البدة
على صفحة الأطلس الأعلى . وفي وسطها المدينة
الكبرى حاملة قلعتها كالتاج على مفرق بهائسها
وسلطانها . . .

نحن الآن أمام هذه المدينة الزاهرة في أواخر
حكم اليونان على مدخل عصر جديد وحياة جديدة ،
في الأسواق حركة التجارة وحياة الأمم ، وفي الدور
والجنائن مجالى اللهو والفحشاء : قبور الشعوب . . .

وكانت غادة من بنات اليونان السوريين جالسة
إلى نافذة تطل على المروج في أطراف المدينة وقد

— دامس !

ووقف البطل العربي مرتجفاً كأنه مائل أمام اللات والعزى ، يعبد في جبال الفتاة أصنام أجداده ، وضع يمينه على قلبه ، وشماله لم تزل قابضة على مقبض سيفه ، وقال مثكلاً باليونانية ولهجة الضاد بادية في كل مقطع من مقاطع كلماته :

— إذا كان هذا القلب لا يكفيك من الدنيا ، نخير لى أن أعود إلى الصحراء وأموت . لماذا لا تتبعين من جاء ليقدم إليك حياته ويحملك إلى بلاد الحب

وكان دامس قد جثا أمام هيلانة وهي تنظر إليه ملياً ثم تلتفت إلى ما حولها ، والدمع يحول في عينها ؛ وبعد سكوت عميق وضعت الفتاة يدها على كتف البطل العربي وقالت :

— أحبك يا دامس ، ولكننى أحب بلادى . إن التى تولد فى رياض حلب لا تقدر أن تعيش فى لواقع الصحراء . ولولا أننى آمله احتلال جيوشكم هذه البلاد لكنت أبارحها معك لأموت بين ذراعيك حيث تشاء ، ولكن لا تنس يا دامس أن أبطال عمر واقفون على مقربة منا ، وأننى أنتظر مع أهلى وأبناء هذه البلاد الجيلة نهاية استبداد خلفاء هرقل لينهض هذا الشعب البائس من شقائه بعد أن طال استعباده لكبرياء أسياده . لقد استجالت الشرائع السامية التى سادت أجدادنا إلى قدارة عند قاعدة عروش الظالمين الذين لا يعرفون غير شريعة القساوة والاعتصاب . ألا تذكر يا دامس ، ذلك الشاب الزاهد المتشح بالسواد الذى رأيته يتمشى أمام هذه الحديقة فى أول يوم رأيته فيه ؟

— إننى أذكر ذلك

أرخت شعرها على كتفيها وأسندت وجهها الأبيض الناصع إلى يدها وأنامها تنحرك باهتزاز عصبي ، وعيناها شاخصتان تارة إلى السماء وتارة إلى أسوار القلعة الراسية فوق المرتفع كبرج حصين يهدد الآفاق ويهزأ بما انبسط تحته من سهول ... ومالت الشمس إلى الغرب ، ورنات أجراس المعابد من جوانب المدينة فانتبهت الفتاة ورسمت على وجهها وصدرها رسم الصليب ، وهى معلقة أبصارها على الطريق المتوارية فى السهول البعيدة ولاح بين الجنائن شبح تقدم مسرعا حتى كان أمام النافذة فوق هناك راسماً حلقة فى الهواء ثم اختفى وراء أشجار الفستق الغضة

وأرسات الشمس قبلتها الأخيرة على أحجار القلعة وتوارت وراء الجبال السحيقة

مرت الساعة الأولى من الليل وساد الظلام وكانت الحديقة المحاذية لبيت غادة حاب قد أقفرت وأغلق بابها الحديدى

وكان الأشجار قد شعرت بانطفاء عيون الرقباء فمالت مع النسمات تتعانق أغصانها فتمازح أوراقها بحفيف كأنه ارتحاض الشهور على النحور ...

وظهرت فتاة تحت جناح الليل ملغمة بدثار من أجل ما نسجت أنوال حلب اليونانية ، وقفت الفتاة أمام المدخل الحديدى وشخصت إلى أعلى رتاجه ، وما عتمت أن انقض من أعلى السور إلى الحديقة رجل ملثف بباءة وعلى رأسه كوفية سوداء وعلى جنبه يمانى محدوب ؛ انحدر كما ينحدر الطير من الهواء منقضاً على غصن ، أو كغفراش الربيع تسكره الزهرة بمبيرها فتجذبه إليها ...

— هيلانة !

وارتعش دامس كأن في هذه الذكري ناراً
لا سعة ، فابتسمت الفتاة بمرارة وقالت :

— أجل هي شرارة الغيرة ، يا ابن الصحراء !
هذه لماتها في أحداقك . لا تنكر . أنظن أنني
أحببته ؟ أف لهذا المرض الهائل الذي لا تعرفه
بنات اليونان في رجالهن !

رفع دامس بصره إلى السماء وقد خرج من
فه أنين عميق كأنه زئير ليث جريح وقال :

— إن لم يكن فينا نحن العرب من داء غير
هذا الداء لكفانا دلالة على ما فينا من أنفة وشتم .
هي معزة النفس تنال . هو الدم يحترق بمرارة
الصيانة والشرف . هو المجد الأنيب ذلك الداء . أو
تسميته داء يا ابنة المجد المتداعي التي لا ترى حولها
غير رجال استججرت قلوبهم وجمد دهم في عروقهم
المتراخية ! إن الغيرة ليست واحدة في قلوب
الرجال يا هيلانة ، فمنهم من يفار لأنه تعود الانغماس
في الشهوات فهو لا يرى إلا الشر حيثما أدار بصره ؛
ومنهم من يفار عن صيانة في النفس ورفعة في
القلب ، وما أما بمن يفترون بما يشعرون . أريدك
سامية كما بصورك خيالي العربي في دماغى المتهب .
أريدك واثقة من حبي الى درجة إظهار نفسك
أمامى كما هي ؛ ولعلك لا تدركين ما أرجوه منك .
لقد لمحت منك نظرة أقيمتها على ذلك الزاهد ولم تزل
تلك النظرة مستقرة كالسهم في قلبي ، وأراك تعمدين
إلى التويه كلما أردت سبر سرك . ونحن معشر
العرب لم نعود الكذب . قولى لى إنك كنت
أحببت ذلك الزاهد فلا أحنق ولا أنور ، ولكن
الشك في صدقك وإخلاصك يقضى على . لقد أبت
نفسنا أن تلتصق بالكاذبين ونحن نحملها تحت
البندود إلى الفتح المبين ...

وكان الحواس قد بلغ أشده في دامس وهو
يتكلم فارتفعت كوفيته عن جبينه واسترخى عقاله
فلاح جبينه الأسمر مكلاً بقطرات العرق ، وكانت
عيناه ترميان شرراً ؛ وذعرت الفتاة من هذا المشهد
فأصبحت مخلوبة أمام حبيبها تندفع الى الاقرار
فيصدها ما تراه من حماسة ، كان دامس يطلب الحب
في الحق وهي تحاذر أن يقضى ذلك الحق على حبه
شعرت هيلانة بحرب تستمر في قلبها بين
ماضيها وحاضرها ، فأحنت رأسها بتعب كما تنحني
الزهرة أمام عاصفة هوجاء ، فقالت في نفسها : « إنه
وهو في شكه يكاد يجن ، فما يكون حاله لو عرف
الحقيقة ياترى ؟ » إن الحاضر له ومستقبل بين يديه ؛
أما الماضي فهو لى ، لى وحدى أحتفظ بأمراره
وليس لغير الله أن يسبر أغواره
على أن صوتاً خفياً كأنه الأنين كان يرتفع من
ضمير الفتاة هاتفا :

« إن من خدع في الحب فقد كفر بقلبه وقضى
على عواطفه ، إن المحبة المستقرة على الخفايا والأمرار
ليست محبة كما أن الله إذا جهل الوجود لا يكون إلهاً »
ولكن مدنية ذلك الزمان لم تكن تؤهل أبناءها
لسماع مثل هذا الصوت الخفى ، لذلك انتفضت
هيلانة كأنها تستفيق من حلم عميق وقالت :

— لقد رجوتك مراراً يا دامس ألا تعود
إلى مثل هذا الكلام . حلفت لك وأكرر أمامك
القسم بأننى ما أحببت سواك فاكثف

— أمام قسمك أ كذب نفسى وعياني
يا هيلانة ، وأما أقسم لك بأننى لن أحول عن نيلك
مادام فى دم وحياة ، ولو كلفنى فتح حاب هلاكى ،
فما أنا راجع عن أمانى ولو اضطرت إلى تساق
جدران القلعة وحدى

— النفث المتهوسون حول يوا كينا لأنهم
اعتقدوا فيه الاستبسال في الدفاع عن البلاد ، وقد
تبموه الى معركة أمس وأنت أدري بما سيكون
— أليس في المدينة بقية من حزب القتلى
يميل الى التسليم ؟

— بلى ، كلهم يريدون الأمان ، ولكن
وقاحة يوا كينا تثقل عليهم ولم تزل أشباح إخوانهم
تترامى في الليل على الدماء التي خضبت الساحة ولم
يسمح الظالم بمحو آثارها

وكان دامس ينكت الأرض برأس سيفه
مستغرقاً في التفكير ، ثم رفع رأسه وقال :

— إلى الملتقى إذا يا هيلانة ! جددى إيمانك
وانبثق على العهد . إن شعبك سيحرر من
عبوديته ، وحين يسود العدل ربوعك سأقيم لك
من أضلاعى بيتاً تسكنينه على أرض أجدادك ،
ولكن اعلمى أننى لم أزل أذكر تلك اللقطة الهائلة ..
وبلاء . . . إن الأيام هاتكة الأستار ، فإذا رأيت
المستقبل أشد غير منك على شرفى فأننى أحول
هذا السيف الى صميم القاب لأموت . . . لك هذه
الدقائق القليلة ، يا هيلانة اهتدى أمامى أستار
كبريائك فلا تخادعى نفسك . أجبى بحق إلهك
الذى أعبد وتعبدين ، هل أحببت أحداً قبلى ؟

— لا

وتماثق الحبيبان

وكانت قطرات الأمل تسقط كالندى على قلب
دامس ، ودموع هيلانة تنحدر متراجعة إلى قلوبها
كانسكاب الفسليين على حجارة جهنم السوداء

وساد الظلام على مدينة حلب وأرجائها وكانت
مضارب الحملة العربية منتشرة حول أبواب المدينة

— اسمع يا دامس ، لقد قطعت على الكلام
بلواسع غيرتك الجنونية ، فلم تصبر ربما أنص عليك
ما تعلم . ذكرك بالزاهد لا لأثير حنقك ، بل
لأقول لك إنه مات مقتولاً بسيف أخيه في ساحة
حلب نفسها

— إذا هو أخ يوا كينا حاكم البلاد ، وآخر
حامل لتاج هرقل .. علمنا أن هذا الملك قتل زاهداً
ولكننا ما علمنا أن القاتل أخوه

— إن يوحنا الزاهد هو أخ يوا كينا الظالم
السفاح ، فان يوحنا الذى أسأت به الظن ، قد دعا
الشعب للاستسلام للعرب ، لأنه عرف عدلهم
وتيقن نبالة قصدهم ، وكان قد ذهب إلى معسكر أبى
عبيدة يتبعه عدد من أهل المدينة فأبرم مع الفاتحين
عهداً ، ورجع بمن معه عند الفروب على أمل تسليم
المدينة عند بزوغ الفجر ، ولكن يوا كينا كان
في انتظارهم في الساحة العمومية مع جنده ؛ ولما التقى
بأخيه ألقى القبض عليه وأمر بنحر من اتبعوه
واحداً فواحداً حتى خضبت الساحة بدمائهم ،
فثار حمية يوحنا فصرخ بأعلى صوته أمام الجماهير
المحتشدة :

— ليأت العرب بادلهم لتخليص الشعب
من ظلمك . . .

حينئذ دلع سيف يوا كينا مخترقاً صدر أخيه ، فسقط
المسكين قتيلاً وهو يعمل على تحرير قومه من السفاح
وتهدج صوت الفتاة بنفخة الدموع ، فشمر
دامس بهبوب نسبات الذكرى من وراء القبور
فارتعش وكادت غيرته أن ترجع به إلى خطابه المبتور
ولكنه ثبت في موقف التفكير بأحوال الحملة
الفاتحة فأمر يده على جبينه وقال :

— وبعد ذلك ؟

لأطير وأنتفض من حالى على يوا كينا الغائص الآن
فى بحار ملذاته ١

وسقطت من جفون دامس دمماتان نزلتا ببطء
على شاربيه فسحهما بأردانه وشخص إلى السماء ،
وتقدم الشيخ الطويل إليه حتى لامسه ووضع يده
على كتفه وقال :

— اسمع أيها العربى . أنا يونانى أحفظ فى
ذا كرتى كثيراً من أجداد مملكة هرقى فى سوريا .
أنا مسيحى أو من بالمسيح وإنجيله الطاهر ، فأنا
اليونانى المسيحى سأسلم أمتع نقطة فى ملكنا إلى
يد العربى المسلم ، ويشهد الله أن ما أقوم به إنما
هو واجب عليه الضمير على ، فليست بالخائن ولو
وصمنى الناس بالمرور . إن حلب بأمرها تسلم
زمامها لخليفة نبيكم ولكن يوا كينا العاصى يتحصن
فى هذه القلعة وبطيل الحصار مدعياً أنه يصمد
هجمات الاسلام حفظاً لدين أجداده وهو الذى
يدعى المحافظة على الدين قد صبغ الساحة بدماء
رجالنا وكان ابنى الوحيد يبت أولئك الوطنيين
التمردين على الفساد والظلم

بكيت وحيدى بكل دموى ، وأقسمت ألا
أجيب داعى الذنون ، وأن أنمرد عليه إلى أن يبيض لى
الله أن أرى انهيار هذا الملك وأنحطام عرش يوا كينا
الغاشم ، إننى لن أترك الحياة الا وأنا أحرق قطعة
من عرش يوا كينا على قبر ابنى الشهيد

واختنق صوت الشيخ فترة ليرتفع بكل
نبرات الافتناع فقال :

— لست بحاجة لاطالة الكلام لأبرر نفسى
أنت تعرف أن النصارى كلهم أنفوا الذل وتركوا
الحياة مستعبدين لرجل لا إله له غير كبريائه وشهواته

تشب النيران بينها والجنود واقفون ينتظرون
المشاء

على أن من يتميز هؤلاء العربان عن قرب يجد
بينهم عدداً وفيراً من سكان المدينة ويرى من حين
إلى آخر نسوة يونانيات حاملات للجنود أطباق
الحلوى

وكان هواء الليل يحمل إلى بعيد صوت نشيد
عربى نغم يدوى كأنه هتاف الحجاز على أطلال
بزانطة المتداعية ، ثم لا يلبث أن يجاوبه نشيد
متقطع باللغة اليونانية كأنه أنين الأجيال الزمعة
الرحيل عن ملعب الدنيا

على مقربة من أحد المضارب الواسعة كان
البطل دامس جالساً القرفصاء وقد تشجعت أصابعه
على مقبض سيفه وهو غارق بالتفكير ، مضت ساعة
وهذا الرجل جامد لا يتحرك ولكن خشيش
الأعشاب اليابسة أمام مضربه نبهه لقدم رجل
طويل القامة ملتف برداء يونانى وقف أمامه وقال له :
— أراك قانطاً يا دامس وليس لئىل هذا اليوم
يحفظ الأبطال القنوط

بقى دامس جامداً ولكن ارتجافاً عصبياً كان
يجمد جيده العالى ، فرفع رأسه وقال :

— سوف نعود من حيث أتينا ، وهذا العقاب
الكاسر متحصن وراء هذه الجدران . والله لو أن هذا
الحصن النبيع حراب مسمومة لاخترقته بصدرى ،
ولكنه حجر أصم جامد فلا هو يقتلنى ولا أنا
أقوى على تحطيمه

وانتفض دامس محدقا بالقلعة وهى مخترقة
السحاب كأنها تهزأ بالزمان

— أواه ! لو يستبدل الله ساعدى بجناحين

الصوت الخالد المهيب في أعماق ضميره الى الجهاد من أجل الحق ، ولكن البطل العربي في نشوة إيمانه كان قد لامس بحسه الباطن الوقائع الكاثنية التي تتجلى مبادئها وراء الزمان والمكان ، فسمع هاتفاً عميقاً بعيداً عن حواسه بناديه :

إن في القلعة قبر حبيبك ، ولكن وراء بابها المحطم بقبضة يدك الخطوة الأولى للعهد الجديد ، بداية حكم العرب المجيد ...

وكانت الساعة الأولى بعد نصف الليل ، وأخذت الأنوار تنطفئ متتابعة داخل أسوار القلعة ، وباع السكر حده في أدمغة الجنود والحراس فتقلت أجفانهم وناموا وهم يعضفون بقية اللحان اليونانية التي كانوا يتشددون بها ...

وكان يوا كينا لم يزل ساهراً يكرع الراح في إحدى البنايات الفخمة القائمة إلى جنوب القلعة وبين يديه غادة رومسية استندت إلى عود تنطق أوتارها لغة القلوب وكانت تنشد قائلة :

« وإذا جن الليل وأرسلت السماء من نجومها لمعات الأسرار ، عندما يستغرق كل شيء في السكون ينتبه السكون بأسره في عين تلمع ، وقلب ينبض ، حينئذ إذا كنت جندياً فأجمل من درءك كأسك ، وإن كنت كاهناً فأكرع الحمرة من كأس الهيكل ، الحب هو الآلهة المعبود ، فإن زهدت في الحب كفرت بربك »

وكان يوا كينا يصوب أنظاره حيناً فحيناً إلى الجهة الشمالية من البرج فتخفق أهداب جفنيه على نظرات منكسرة في أحداقه

وكانت تقف أبصاره على غرفة موصدة هنالك في طرف القلعة حيث كان يقيم أخوه الزاهد يوحنا .

إن من يبلطخ يده حتى يدم ابن أبيه وأمه ليس إلا كافراً بالله وبروح الله ، وأنا أعتقد كما يمتد جميع المعتلاء في بلادنا أن دين النبي العربي ليس إلا شملة من روح الحق يرسمها الله الى الأرض لتجديد قوى الخير والقضاء على الفساد والضلال ، فالنصرانية الحقنة المتألمة من الطفلة الكافرين بها تمد يدها من قلوبنا لتصافح الاسلام ، وما هو إلا صنوها الذي حطم الأصنام ودعا الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد

إن يوا كينا يتلاعب بنا باسم الدين ليدعم عرشه الهاوى بجماجم أبنائنا ، وهو الكافر بربه فكيف يمتد بالمسيح ؟ إنما الدين هو العدل ، وما أورث الله الأرض إلا لرجال الحق ، وأنتم أولئك الرجال — إنني أومن بالفتح المبين لاستسقاط سلطنة المارقين ، ولكني لا أتميز السبيل إليه في قضاء الله ، وهذه القلعة واقفة بين الماضي والمستقبل حلقة جسارة تملأ الفضاء ، وأية قوة ستصل إليها لتكسرهما ؟

— إذهب الى أبي عبيدة وتمهد له بفتح القلعة وعد الى أنتم عملنا هذا المساء ، ولتكن جنودكم على أهبة الهجوم

— إنني أتبعك أيان تريد ، اقذف بي الى أشدق الموت . إن الجهاد حق على المؤمنين

ونهض دامس وقد ملأت عقيدته جوانب نفسه ، فخرج القلعة الثلاثة بالأنوار بلفقات النسر المنحفر للانطلاق ، وما تقدم بضع خطوات حتى استوقفه خفقان قلبه الماشق وقد هتف صوت هيلانة فيه : تقدم إلى اللقاء ، الى كوثر الحب المتدفق من شفتي ، فانتفض المجاهد المطلق في وجدانه يحنق هذا الصوت الدخيل خشية تطرقه الى نبرات

كلاسد الثائر فكتم أنفاسه وألقاه صريعاً ، وكان الشيخ اليوناني قد تقدم كالبرق الخاطف نحو الباب الكبير ففتحه من الداخل ، ولم تمض فترة من الزمان حتى كان أبطال العرب مستولين على الحصن تحفّق على مرتفعاته أعلامهم الخضراء ...

وتكحلّ الشفق بأوائل ذرات النور

في إحدى خنادق القاعة كانت جثة باردة ممتدة وقد تقلصت أصابع كفها على ذخيرة مفتوحة تدلت منها خصلة شعر تحضبت بالدم ...

الذخيرة ذخيرة يوحنا الزاهد القتييل يشهد رسم هيلانة وشعرها فيها بما أودى بحياة دامس البطل العربي الذي دون التاريخ فتحه أبواب الحصن النبيع

وفي القاعة الكبرى ، داخل الحصن ، كان رجل بكلل المرق جبينه طارحاً سيفه عند قدميه يدور به أبطال العرب وهو رافع يده هاتفاً :

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .. هو يوا كينا ذلك المتشهد ، هو مرهق شعبه وعبد شهواته وناحر أخيه بيده هو الجاني على دين الله في المذهبين الموصولين الى الله

وبين المقابر كان شيخ هرم يحرق قطعة من الخشب الموشى بالذهب فوق حفرة لم تجف ردوها بعد

وعلى قصر من قصور حلب الشاهقة ، كانت فتاة ترفع أبصارها إلى السماء وتضع يدها على قلبها معلقة أبصارها على الطريق منتظرة عودة من خلد له الحب وأرداه الخداع ...

فليكس فارسي

هنالك في تلك الغرفة المدخل السري الوحيد للقلمة ولكن ذلك المدخل موصد الآن على بقايا أبواب الراهب القتييل وقد علقت بها سلسلة ذهبية مربوطة على ذخيرة انفتحت عن صورة فتاة وخصلة كبيرة من الشعر

للشرف فترات هود كما للخير غفلات في ضمير الانسان

وكان صوت المغنية الرومية يرن في أذن السفاح فيذهب قسم منه إلى ضلاله ويتساقط قسمه الثاني على روحه كالندى على الأزهار اليابسة . كانت كلمات الأغنية البذيئة تستقر في شهوته وتدور مع دمه الفاسد ، ولكن اللحن أو النغمات أو الإيقاع ، تلك الأصوات السرية التي لم يقو الانسان على إفسادها كانت ترفرف فوق كلمات الأغاني كأنها حمامة بيضاء بائسة فوق جيفة منتنة ، فتذكر يوا كينا أن في الكون شيئاً لا يقدر الانسان أن يتناوله بيد الأرجاس

ولكن هذا الحارب اليوناني الماني الذي تمضي إلى معقله النبيع على أنهار من الدماء لم تستوقفه طويلاً همسات نجواء ، فتقدم مترنحاً في سكرة إلى الفتاة الرومية يحتضنها ويداعب شعرها الذهبي الطويل موالياً ظهره لباب غرفة أخيه الموصدة ..

وفي تلك الدقيقة ، ابتدأت أخشاب ذلك الباب بالسقوط تحت ضربات خفية وظهر شبح اليوناني الطويل دليل دامس فتقدم باحتراس متطلماً إلى كل جهة ، وكان هنالك حارس ممدد على الأرض فانتبه من نومه مذعوراً قابضاً على سيفه ووقف لينادي ، ولكن دامساً انقض عليه من الغرفة

فخام المزور

للقصصيّ الروسي مكسيم جوركي
بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى

على ضفاف « الدينير »
وكان أولنا جندياً سابقاً
في الجيش ، رجلاً أحمر
الشعر ، بائناً الطول ،
ضامراً العود ، طلق
اللسان ، يروي الكثير
عن حياة السجون ،
وعيشة الأسار
أما الثاني فكان شاباً
ريق الشباب ، لدن
المعاطف ، ضاوي الجسم ،
وقد أخبرنا عند لقيانا

أنه طالب في جامعة موسكو ، فلم نمن لذلك كثيراً ،
فقد كان كل ما يعنيننا أنه جائع طاوى البطن مثلنا
وكنّا أما نالهم بوجهي الخفر الصامت ،
وحياي الذي لازمني منذ بواكر أيامي ، وإن أتلحق
معك في الحديث عن نفسي فليس هذا مقام ذلك ،
ولكنني أقصر القول على أنني كنت كثير الوتوق
من نفسي ولم أزل كذلك ...

وكنّا أما نالهم الجندي في المقدمة ، أما الطالب
فكان يتخطر وراءنا في ولاء ومهل ، وقد علق بعطفه
شيء بال كان يشبه المعطف في حين من الأحيان ،
وعلى رأسه بقايا قبعة زرقاء قديمة ، وبدأ في قدميه
حذاء عتيق يحيل إلى أنه التقطه من جنبات الطريق ،
أما الجندي فكان يكتب قيصاً وردى اللون ، وقبعة
حربية الطراز ، أما قدماه فكانتا عاريتين شتيتين ...
وهكذا كنّا أنا أيضاً

وطفّقنا نقاب الطرف في أرجاء تلك المروج
الناضرة الجنبات ، فما عادت نواظرننا منها بطائل
ألهم إلا السماء الرائقة الساجية ، التي كانت أشبه
شيء بطبق أزرق هائل قلب على الأرض ، وكان

... ومضينا في طريقنا نبحث الخطى ، بعد
أن خلفنا وراءنا « ميركوب » فهما كالدب ،
ناقما على العالم أجمع ... فنذا اثنتي عشرة ساعة أوبزيد ،
ونحن ندير الاحظ في نواحي المرج ، ونتقصى النظر
على جنبات الطريق ، عاننا تقع على شيء نفهم به
أودنا ... ولكن أعيننا حسرت عن درك نهاية
ذلك الفضاء المتصل ... وأخيراً قرّرنا العزم على
أن نصل السير ... ولكن إلى أين ؟ ... نعمة إلى
الأمام قليلاً ... فسرنا في صمت وضيق ، وقد
تراخت أعصابنا من الجوع ، وارتفعت مفاصلنا
من التعب ، وقصرت خطانا من الأين
وكنّا ثلاثة عرف كل منا الآخر في سائر ليلى

* تحتفل الأوساط الأدبية في موسكو في هذه الأيام
بذكرى مرور عام على وفاة شيخ أدبها الحديث ، وكنيتها
النايف مكسيم جوركي ... وقد توفي جوركي في مثل هذه
الأيام من العام الماضي . بعد أن قضى حياة بائسة طويلة ذاق
فيها الكثير من ضروب العوز والفاقة والتشرد ، وقد طبعته
هذه الحياة على نوع من الأدب مازة من غيره . وهو افتتانه
في وصف البؤس وذكر البائسين ، وقد تخيرنا له هذه القصة
لأنها تمثل — على ما نرى — جانباً من عيشته ، وطرفاً
من حياته

— لا شيء هنالك ... لم يبق إلا أن نقضى الليل في ذلك الصقع النائي ... فهيا نجمع بعض الحطب لنضرم النار أيها الرفاق

فانطلقنا نلتقط من المرج ما اعترض سبيلنا من أضفاث الأعشاب الجافة ، وكنا كلما تثنى الجسم لالتقاط عود جاف يساقط على نفسه ، وبأى أن يستقيم ويستوى ثانية كأن به رغبة ملحة إلى الممدد والتطرح ، لما أضواء من الاعياء والنصب والجوع . وهتف الجندي أخيراً :

— لو قَبِضَ لنا الله من هذا المرج ثمة جذر من جذور النبات ، فإن من الجذور ما يؤكل ؟ ولكن الحزون كانت تبدو حولنا منبسطة ممهدة خالية من الأشجار ... وكان الليل غاشياً على الكون ، وقد رجفت في ثناياه النجوم الغرارة ، وضياء الطلعة ، وهاجت الجبين ... وعلى حين غرة أقبل الطالب علينا هامساً :

— أيها الرفاق ... إن عن شمالكم رجلاً راقداً في المرج ، فقال الجندي :

— رجل ؟ .. ولم يرقد هنا ؟ لابد أنه مزود بالطعام ... فما يدلج إنسان في تلك الشعاب النائية دون طعام أو شراب ... هيا نذهب إليه أيها الرفاق وتقدمنا الطالب بعينيه البراقة الخضراء ، فسيح الخطو ، حثيث السير ، وكان الرجل جامداً في مرقده لا تحتلج أطرافه ، ولا تطرف عيناه فتطرق إلينا الشك ... وقال الجندي :

— ربما لم يكن هذا رجلاً ... ولكن سرعان ما تبددت الرّيبُ فقد طرق سمعنا صوت متزن الجرس ، متسق النبرات شق غواشي الظلام يقول :

— مكانكم .. وإلا ألهبت رؤوسكم !

الطريق ضيقاً حصباً نلوح على حفافيه أكوام مشتتة من القمح المشيم ، بينما انتثرت في نواحي المرج بضمة أعواد جافة أغفلها منجل الحاصد فلاحت كتلك الشمرات البيضاء المتناثرة في عذارى رقيقنا الجندي ومضينا في سيرنا ، ووجهتنا ذلك الأفق البعيد ، وقد ضرب عليه السحاب لثاماً رائقاً غرّاراً ، فرفع الطالب إليه لظه وأوماً نحوه بينانه قائلاً في تخيلة وزهو :

— تلك ولا شك جبال « الكريمان » التي درسناها

فنظر إليه الجندي محبباً وقال :

— جبال ... أى جبال يا رفيق ؟ تلك سحابة صافية شفّة كاللبن المروق ، ووددت من من نفسي لو كانت حقاً من اللبن المروق فتروى منها عطشنا ، ونبل بها سداناً ... ومضت برهة قبل أن ينبس أحدها ببنت شفة . وأخيراً قال الطالب في لهجة الماتب :

— لقد قلت لكم إنكم تضربون إلى الأصمق الغير الآهلة بالسكان ... فقاطعه الجندي قائلاً :

— لقد قلت لنا ... ؟ حقاً هذا دورك لتقول لنا ، فأنت بيننا الضارب بهم أوفر في العلم ، ولكن خبرني يا رفيق أين هي إذن الجمات الآهلة بالسكان ؟ فلم يحمر الطالب جواباً ، وسرماً يُرنق فوقنا الصمت ، وكانت الشمس قد جمعت خيوطها الذهبية عن الكون ولم يبق منها على الأفق إلا الشفق الأحمر الزهّي ، وقد تمثل فيه الأمل الباسم ، ولفته غلالة وردية شفّة من السحب ، فبدت المروج موحشة صامدة ، وقد هفا عليها السكون ، ورائت فوقها الهدأ ، وأخيراً قال الجندي وهو يتنصّص ويتلفت :

رفيقيّ وأخذت أحطم ذلك الخبز الجاف بأسناني
التي كانت على أهبة لمضغ الصخر، وأحسست وأنا
ألوكُ في شدقي تلك اللقيات، أنها مرعان
ما انقلبت دماء دافقة في الجسم فأنستني ما مضى
من الجوع وما مر من الفاقة... ولكن عند
ما ألقيت في فمي بما بقي من فتات الطعام أحسست
جوعاً ممضاً من جديد... وهمس إلينا
الجندي أخيراً:

— إنني على يقين من أن ذلك الرجل معه لحم
أيضاً... وأضاف الطالب:

— وللتثبت من ذلك أقول إن الخبز يفوح
برائحة اللحم....

وكنا جلوساً بمضنا
إلى بعض وقد جمع حولنا
الليل مسوحوه السود،
وبسط علينا الصمت
جناحه الشامل حتى عدنا
نسمع ضربات قلوبنا،
ونامة أنفاسنا....
... وكنا جائعين!

انتظروا قريباً

السيد عمر مكرم

مع الأستاذ

محمد فريد أبو حديد

ومضينا نتداول ونتناول في ذلك، إلى أن
أشرت أخيراً على رفيقيّ أن نسلطوا على الرجل
فنأكل ما بقي من طعامه دون أن نمسه بشر؛
وصادف هذا الرأي هوى من نفس الجندي فصاح:

— هيا بنا أيها الرفاق

فقمنا متخاذلين وبعمنا شطراً الرجل ونحن
ننأمل في خطانا، فبأجزنا خطوتين أو ثلاث
خطوات... حتى أصمّ آذاننا دويّ طاق شديد
شق سكون المروج الشامل... فصاح الجندي
بالرجل:

— أخطأت الرمي أيها الرفيق...!

فانتبهنا فإذا الرجل قد انتهض من رقدته وفي يده
«مسدس» صغير، ألجم به أفواهنا وعقل أقدامنا
وأخيراً هتف به الجندي:

— لا تُرْعُ أيها الرفيق... فلن نمسك بسوء
إننا نكاد نصرع جوعاً... فأعطنا شيئاً من الخبز
ولكن الرجل تلبّث في مكانه جامداً لا يبتلع،
شاخصاً لا يطرف... فاسترسل الجندي:

— ألا تسمع أيها الرفيق... فأجاب الرجل
وهو راجف واجف

— حسن...! فصاح به الجندي

— لا تطرق قوادك الريبة أيها الرفيق...

فإننا لا نبي بك شراً

وتبدّت على شفتي
الجندي ابتسامة ظافرة،
لم يثبتها الرجل الغريب
لطول الشقة وبهمة
الليل... وأخيراً قال
الغريب:

— انتظروا... ثم

لوح بيده في الهواء فسقط

هند أقدامنا شيء أسود هوى عليه الطالب بيده،
فإذا به بضع لقيات جافة مُغبرة، سوداء مُشمّنة،
فلم نلق بالآلهة الصفات الأخيرة المتتابعة، بل
جالسنا حول الجندي، وكان قد ارتفق الأرض
وطفق يقسم بيننا الخبز

— هذا نصيبك أيها الرفيق... وتلك
حصتك أيها الطالب... وهذا ما تبقى لي...
كلا، ماهذه بقسمة عدل، أعطني قطعة من نصيبك
أيها الطالب

فانصاع الطالب صاغراً وأعطاه ما طلب،
وجلسنا نأكل في صمت... وقد انفردت عن

وأمرعنا إلى الرجل فألقى الطالب بنفسه على
كيس طعامه . . . وأبحه الجندي نحو الرجل
المسكين وكان قد تطرّح على ظهره وهو واجف
راعش ، فركله الجندي بقدمه قائلاً :

— كان الأولي أن تطلق النار على نفسك
أيها النبي — وهتف الطالب مازحاً :
— لقد عثرت على اللحم أيها الرفاق فتمالوا
نأكل . . .

وجلسنا نأكل من جديد ، وكان الليل حولنا
مثلما بظلامه ، سواد على سواد . . . وعلى حين
غرة سمعنا الرجل المسكين يغمغم من صوت خافت
كانه الأنين :

— عفواً . . . أيها الرفاق . . . كيف لي أن
أعلم . . . لقد أطلقت النار لأن الرعب ملا جواحمي .
إنني في طريق إلى مقاطعة « سمو لنسلك » وقد
تولتني الحمى عند مغرب الشمس ، فوهي منها
جسمي ، ووهنت أعصابي ، وأخذت على مذاهب
السير . . . إنني أمارس النجارة . . . ولي زوجة
وطفلتان لم ترياني منذ أربعة أعوام خلون . . . لكم
الطعام فكلوا كل شيء . . . أيها الرفاق . . . »
فأجاب الطالب :

— « وهل نحن في انتظار إذنك ؟ » ثم همس
إليها الطالب :

— لا شك أن ذلك الرجل معه نقود أيضاً
فأجاب الجندي :

— إنك دائماً صائب التخمين أيها الرفيق
ثم نهض الجندي قائلاً :

— هيا نضرم النار لننام أيها الرفاق . . .
فالتفت عينا الطالب ثم قال :

— وماذا عن الرجل ؟

— فليذهب إلى الشيطان . . . أما كفي أن أكلنا
طعامه

وتفرقنا من الرج نجمع ما ألقينا من الأعشاب
عندما بغتنا الرجل . . . ثم أشعلنا النار في كومة
الحشيم ، فاضطربت وتوهجت وأنضت ما حولنا
من الظلمة ، فسرى الدفء في الجسوم ، ودب
الكري إلى الجفون . وطرق سمعنا صوت النجار
الخافت يقول :

— أيسمح الرفاق أن أدنو من النار قليلاً ؟
إن عظامي يكاد يفتتها البرد . . .

وأخذنا عايه المطف فسمحنا له بالدنو ، فأتى
يدب على رجليه وقدميه . . وقد أغرق عينيه فيض
من الألم ، وغمر وجهه صبغ من الصفرة . . . وبدأ
في لمع النار زائغ البصر ، متكفأ اللون ، ثم جلس
على كذب منا يمرس أطرافه المرضوضة ، ويبسط
أصابه المثناة . . . وبعد برهة سأله الجندي :

— ولم لم تركب البحر مادمت على هذه الحال
من الاعياء والوهن ؟

فأجاب في خفوت :

— لقد نصحوالي أن آخذ طريق البر لأنه
آمن على صحتي . ولكنني لا أستطيع الوصول . .
وسيطوبني الموت في تلك المروج النائية وإن أرى
طفلتى الحبيبتين . . يا إلهي . .

وأخذ الرجل يصيح فنهزه الجندي قائلاً :
— « كفي . . . صدعت رؤوسنا أيها النبي »
وصحت أماً به :

— « لا تمكر علينا صفو النوم أيها الرجل »
ثم أضاف الجندي :

— أسمع أنت ؟ .. أظن أنك ستتناول عطفنا بعد أن أطلقت علينا النار ؟.

وصمت الرجل وصمتنا ، .. واستأق الجندى على ظهره . وتطرح النجار على كومة من العشب ورقدت أما عن يمينه ، واضطجع الطالب إلى يساره وهو يتشاءم ويتناوم وبعد برهة هتف الجندى وهو يتأمل في السماء :

— ما أروع الليل الساكن .. وما أبهج السماء الصافية .. تأمل أيها الصديق . إنه ليخيل إلى أن الله خلق السماء دائراً لتلك الأرض الناعسة الغافية . ما أجل تلك الحياة الطلقة الحرة أيها الرفيق .. إنه قد يكتنفها الجوع . وقد يكدرها البرد ولكننا فيها أحرار طلقاء ... نضرب في ذلك الفضاء الرحيب لا إمرة لأحد علينا ولا نهى ، بل نحن سادة أنفسنا . لقد كاد يقتلنا الجوع فيها أياماً ... وها نحن أولاء قد أكلنا وروينا .. ورقدنا تطالما بلحظها النجوم الفوانئ كأنها تقول لنا : « خفضوا عليكم جأشكم أيها الرفاق .. واضربوا في فضاء الله الواسع وتعلموا وتدبروا ولا تحفلوا بأحد . »

وصمت الجندى قليلاً ثم قال :

— كيف أنت أيها الرفيق النجار .. لا تكن غاضباً علينا لأننا أكلنا طعامك ... ماذا كنت تريدنا أن نفعل ومعك طعام وليس معنا شيء ... ثم إنك ستتمر غداً على سوق « بيركوب » فتبتاع منه ما شئت من الطعام .. منذ كم أخذتك الحمى ؟ ومضى موهن من الليل كانت تحمل الرمح خلاله إلى همس الجندى وجواب النجار ، ثم غشى الصمت على الكون ، وسكن هزيم الرياح في الأفق وعقد السكرى أهداب الجفون ...

— تنبه ... ! ييقظ أيها الرفيق ... دعنا نذهب سريعاً

فانهضت صرماً من النوم فرأيت الجندى واقفاً بجانبى يستحشى إلى السير وقد تكفأ لونه وتوجف قلبه ، وكانت شمس الصباح الضاحية قد لألت نواصي الأعشاب في المرج ...

وتلفت يمينا فاذا النجار ماقى على ظهره ممزق الثياب وكان أزرق الوجه فاغر الفم جاحظ العينين وقد أغرقتهمما الرعب ، وتصلبت فيهما المحاجر ... وهتف الجندى أخيراً :

— أما كفأك تأملاً ... هيا امض بنا ... فقلت في تردد :

— أهو ... أهو قتيل ؟ ... هل الطالب ... فقاطعتني قائلاً :

— « ومن غيره ... ربما أنت أو أنا » واسترسل قائلاً :

— أهذا أثر العلم في نفسه ... أغاية العلم أن يترك ريفية على هذه الحال ... أما والله لو علمت طوية نفسه قبل ذلك لسفكت دمه ... هيا بنا أيها الرفيق ، يجب أن نذهب عن هذا المكان قبل أن تلمحنا عين إنسان .. أقام أنت .. إنهم سيكشفون أمره اليوم ويترسمون خطانا ... » ثم وضع يده في جيبه قائلاً :

— ولكن هذا مسدسه متى ... فصاحت به :

— ألقه في الطريق ...

— كلا إن ألقيه . إنه شيء ذو قيمة

ومضينا نحث السير فذكرت في الطريق طفاتي النجار المسكين فقلت :

— هذا كثير على زوجة الرجل وطفلتيه

فأجاب :

القلب الحب والمطف ، وأحمل له في طوايا النفس
التجلة والاحترام ، وقد مرنا سويا الى اقليم «كارا»
ثم افترقنا الى حيث لا لقاء . فسألته :

— أو لم تمطفك الذكري بعد ذلك الى ذلك
النجار المسكين ؟
فضحك ثم قال :

— ما الذى تريدنى أن أذكره فيه ، أو أستشعره
لأجله ... اننى ان ألام على ما حدث له ، ولن
تلام أنت ولن يلام أحد غيرنا ... فان يجدى
اللوم ... لأننا كلنا أشباه وحوش ضارية .
المكتوبة أحمد فنى مرسى

واجب !

ما الذى يملك من أن توفر لنفسك
القوميسيون ومصاريف المحل و ... الخ إذا
وجدت أمامك مورد مصرى يستورد لك الصنف
من أشهر فبارك ألمانيا ويسلمها لك رأساً بتكاليفها
فقط

حرب

قلم حبر الكتابة سفنكس القلم الأنيق
ذو الريشة الذهب المضمونة عيار ١٤ مثله في
السوق يباع بثمانين قرشا . أرسل فقط ٤٠ قرشا
إلى حسين حسنين شارع الطيران نمرة ٣١ مصر
الجديدة وللخارج زيادة خمسة قروش يرسل
إليك الطالب فى الحال

مطلوب وكلاء فى الشرق والأقاليم للقلم
ولأصناف أخرى مما نستورده من الخارج م

— دع هذا الآن ... وامر ع فى سيرك ...
عج بنا الى اليمين فأغاب الظن أن البحر فى تلك
الجهة

وحدنا عن الطريق فتركت زمبلى فى عرض
المرج ، وصعدت على وهدة عالية كانت على كشب
مدا ، وأشرفت بناظرى على ما مضى من الطريق ،
فسمعت رفيق يقول :

— علام تنظر أيها الرفيق .. أدخل فى روعك
أن الحياة ستدب فى جسمه ثانيا .. وصمت الرجل
قليلا ثم عاد يقول :

— ما أمهر والله ذلك الطالب الذى غافلنا
وخادعنا ... ان الناس أيها الرفيق يوغلون فى الشر
كلما أوغلوا فى العلم ... يوما بعد يوم ، وعاماً إثر
عام ...

وصمت الرجل فماد الصمت يبسط جناحيه
على الكون ، وبدت الشمس تتلألأ فى صدر السماء ،
وضرب الأفق دائرة الزرقاء على المروج فتابعنا
السير دراكا ...

وأخيراً قال رفيق الجندى وهو يخرج من
جيبه لفافة من التبغ الرخيص :

— إننى جائع أيها الرفيق

— وما عسانا تأكل هنا ؟

— تلك مشككة أخرى ...

وختم الراوى قصته — وكان رجلاً أشيب
الرأس يرقد الى جوارى فى المستشفى — بهذا القول :
— ومنذ ذلك الحين توثقت وشائج المودة
بينى وبين ذلك الجندى لما هو عليه من خلوص
النية ، وسماحة الخلق ، فكنت أكن له فى شفاف



يَوْمِيَّانَا فِي الْأَرْيَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

القاتل !

رأى الأستاذ توفيق الحكيم أن يفسح الأجل
أسبوعين آخرين للمتسابقين في معرفة القاتل
لعمرة الدولة علوان في القضية التي ينشرها في يوميات
نائب في الأرياف ، ففضل ألا ينشر شيئاً منها في
هذا العدد لأن ما سينشره سينم عن القاتل . وإنا

لنرجو ممن يدخل في هذه المسابقة ألا يغفل ذكر
الأسباب التي بنى عليها حكمه . وآخر موعد لتقديم
الردود هو اليوم العاشر من شهر يولييه ما

معروضات باريس

زوروا

شركة بيع المصنوعات المصرية

لتشاهدوا ما أعدته لكم

شركة مصر للغزل والنسيج

و

شركة مصر للنسيج الحرير

خصيصاً لمعرض باريس

من الأقمشة الفاخرة ذات الألوان الجميلة والذوق السليم



موعد مع « سميرة » تلك الفتاة التي عرفها من صديق له ، وتشبث بها ، كأنها كنز ، لأنها كنز بل لأنها تعينه على تغيير هذه الحياة المطردة التي لا تختلف ولا تتنوع ؟ ولو ترك ازواجه الكفاية أما كان يسمعه أن يلتقي سميرة ، وأن يقضى معها ساعات ينسى فيها أن حياته مملة ، وأن وتيرتها واحدة ، وأن روحه زهقت ؟. آه لماذا لا تستطيع الزوجة أن تكون أبداً جديدة ؟. لماذا تدع زوجها يمل حياته معها ، وإن كان يحبها ويعرف لها قدرها ويشكر إخلاصها ووفاءها ؟ المصيبة أن الزوجة لا يخطر لها أن الرجل يمل هذه الوتيرة الواحدة ... لا يخطر لها أنها هي لا تستطيع أن تأكل كل يوم « ملوخية » لماذا لا تكاف نفسها عناء التفكير في ما هو خالق أن يجعل الحياة معها كل يوم جديدة ؟ لماذا تفرض أنه لن يمل أو يضجر أو يسأم هذا العيش الذي لا يتغير ... ؟

ولم يكن عيب « عاقل » قلة الانصاف ، فلم يسمعه إلا أن يقول لنفسه ، وهو مسند ذقنه إلى راحتيه ، إن زوجته أيضاً مثله ، أي خليقة أن تمل وأن تضجر ولكنها لا تضجر ولا تمل ، ولا تلتمس مثله التسليمية والترفيه عن النفس بما يتفق أن تفوز به خارج

صنع « عاقل » من راحتيه كأساً لذقنه وحديج النافذة بنظره ، وراح يفكر .. هذه ثلاثة مرة في أسبوع واحد يدس ريلاً لزوجه تحت الوسادة ، ويخرج من البيت متسللاً كاللص على أطراف أصابعه لثلاث استيقظ فتسرد له الحاجات المختلفة التي تقتضي زيادة في النفقة فلا يكفي ريال للمطالب العديدة التي يعرفها ولا يجملها . وماذا عساها تصنع فيما ركبها من الدين .. اللبان له عشرة قروش . والخباز له أكثر من ثمانية عشر قرشاً ... وغيرهما أيضاً ... وكانت العادة أن يؤدي عن ما يأخذ ، فارتاب هؤلاء الناس لما رأوا أنه يأخذ ولا يؤدي الثمن ، ولو كان عودهم غير ذلك لاعتادوه ، فان غيره يأخذ ويعطى أول الشهر ... ولم يكن يمجزه أن يترك لامرأته ما يكفي ، ولكن .. ولكن ماذا ؟ ماله لا يصارح نفسه ؟ أليست الحقيقة أنه مل هذه الحياة الجافة التي لم يمد يجد فيها متعة أو لذة فهو يرضى على بيته وأولاده بما معه لعل وعسى ؟ ؟ عسى أن يتفق أن يلقى ما يسره ويجدد نفسه فلا يقول كما قال السمير : « فتراني طول عمري تائباً من غير عفة ؟ » عسى ؟ أيكذب حتى على نفسه ؟ وبأبي إلا أن بفالط ، وإن كان لا أحد معه ؟ سبحان الله ! أليس على

الواقع أنه لا يحس بإمكان القناعة بهذه الحياة الجافة التي لا تنوع فيها ولا اختلاف في وجوهها ، والمسألة هي لماذا لم يستطع أن يحكم تدير الجانب المالى بحيث يتيسر له أن يؤدي مطالب البيت على الوجه الكافى المريح ، وأن يستبق بعد ذلك ما يحتاج إليه فى سد المطالب الأخرى ؟ .. هذه هى المسألة الجديرة بالتفكير والعناية ، وما عدا ذلك كلام لن يغير من الواقع شيئاً ، ولن يسوغ قبيحاً أو يقبح حسناً بل هناك مسألة أخرى أحوج إلى البت السريع وتلك أنه على موعد مع « سميرة » ولكن صديقاً له دعاه إلى الغداء مع « رقيقة » وهى فتاة مسلمة تنسب هذا الاسم الاسرائيلى ؛ ورقيقة شىء جديد ، فاما حلاوتها ولجاسها أنسه وفننته المستفادة على الأقل من الجدة ، وصحيح أنها صديقة صديقه لا صديقه هو ، فليس له مطعم فى أكثر من الحديث والنظر ، ولكن من يدري ؟ .. ولا بأس من إخلاف موعد سميرة ، فانه يستطيع أن يمتدح إليها بعد ذلك وهى تعرف أين تجده على كل حال ..

وهز رأسه متعجباً وقال لنفسه : « كيف يا ترى يعرف فكرى (يعنى صديقه) هؤلاء الفتيات البارعات ؟ » ذلك أنه هو نفسه يجد عسراً وعناء شديدين فى الاتصال بمن يخيلنه من البنات ذوات الدل والحسن ؛ وما أكثر ما تنصدى له الفتيات بجملهن وزينتهن فى الشرفات وفى الطرق ، فيخجل أن يفعل ما يفعل الشبان الأبقاع ، ويندر أن يزيد على الابتسام ثم ينصرف آسفاً متوجعاً ؛ واقعد وقف مرة فى شارع ينتظر أن يفتح له شرطى المرور الطريق ، وإذا بفتاة تضع كفها البضة على يد الباب وتنظر إليه متبسمة باشة وتقول بصوت حلو :

البيت .. بل هى لا تخرج أبداً . إلا إذا كانت معه ولزيارة قريب مريض ، أو لداع من هذا القبيل ، ليس لها سواه .. هو محور عالمها كله . لا تكاد تعرف لنفسها حقاً يقابل واجباتها ... حسبها أنها تأكل وتشرب وتلبس وأن تكون حقيبتها فيها جنبان أو ثلاثة .. ما يكفيها والسلام . فإلى مطالب تعرفه وراء ذلك . لا سيما ولا خلافه ... لم تطالب منه قط أن يحملها معه فى سيارته وأن يجول بها جولة فى الهواء الطلق ... كلا ... أبداً ... مسكينة ... وإنها لأحق بالسيارة منه فقد أثبت له أن يركب تلك السيارة القديمة وألحت عليه أن يشتري أخرى جديدة تليق به فاعتذر بأنه ليس معه مال ، فخرجت له عن كل ما ادخرت .. ثلاثين جنباً وضعتها فى يده ليتيسر له أن يشتري سيارة جديدة بالتقسيط ... ولشد ما يفرحها أن تراه مقبلاً فى السيارة الجديدة وتركب أحياناً معه فتقول له وهى تضحك : « إنها سيارتى . أليست كذلك ؟ » فيقول : « بالطبع » فتقول : « إذن من حق أن أستعمل الكلاكسون فيه » فيقول : « كما تشائين » فيسرهما أنها تضغط الزر من حين إلى حين فيصيح « الكلاكسون » بالناس أن تنجوا عن الطريق . وتضحك مسرورة ثم تنجبل فتكف .

ولكن من الانصاف لنفسه أن يقول إن قناعها به راجعة إلى أن أفقها محدود ، وضيق الأفق نقص ولكنه أثر فضيلة لا شك فيها ؛ أما هو فحبيب أفق النفس ، فإذا كان لا يقنع بالحياة الضيقة المملة الغثة ، فالسبب هو هذه السمة فى روحه وفى آفاه ، وبالتالي فى مطالبه وحاجات نفسه .. ومع ذلك ما داعى هذه الفلسفة كلها ؟ ..

« افتح ! » ، فخدق في وجهها مبهوتا من جرأتها ،
مرتابا في أمرها ، ثم لم يسمعه إلا أن يقول لها :
« بالطبع ... تفضل ! » ، فرفعت حاجبها مقدار
مئذنين - كأنما كانت هي الحقيقة بأن
تتمجب - وقالت : « صحيح ؟ » بالهجة حائرة ،
فلم يدر أي تستوثق أم تستنكر ؟ ولكنه ترك
ذلك وقال : « بالطبع ... ولم لا ؟ ... » ، فضحكت
- نعم ضحكت ... فهففت في الطريق -
وقالت : « مرسي ... » ولكنها لم تركب بل وقفت
تتلفت كأنما تشاور نفسها ، أو كأنما تنفض المكان
لنظمين وتستوثق من أنه لا يراها أحد ممن تعرف
ثم ردت إليه وجهها وقالت : « في وقت آخر ...
مرسي » كأنما كان يعرفها ويعرف أين يلقاها حين
يصبو إليها ، تخفق قلبه خفقات قوية لها في رأسه
دوى ، وأحس أن ركبتيه تخالخلتا ، وصارت يده
ترعش كما يرعش القروور ، وسمع نفسه يقول :
« أرجوك .. أرجوك .. لا تخيبي أُمي » ، ولكنها
رمت إليه ابتسامة ومضت خفيفة رشيقة إلى
الرصيف ... وفتح الطريق في هذه اللحظة ، فلم
يسمه إلا أن ينطاق ؛ غير أنه وقف بالسيارة على
محاذاة الرصيف ودار في مقعده ، وأرسل طرفه إلى
حيث رآها تذهب ، فلم يمر لها على أثر ؛ وكان
الذي استخفه أنها على التحقيق ليست من بنات
الشارع - يدل على ذلك أنها غضة السن صغيرتها ،
ولا يكاد يُعقل أن تكون الحرفة قد أدركتها ...
مستحيل ! ... ولكن جرأتها ؟ ... أو ووه ! ...
هذا شيء بطير العقول ...

وكانت له معاملة نموية روسية سكن إليها
زمنًا ؛ ولم يكن يريد أن يتعلم شيئًا وإنما كان يبنى

أن يعرف فتاة شريفة يستطيع أن يأنس بمجالسها
وحديثها ، وأن يقضى معها ساعة كل يوم ينسى
فيها حياته المملة ويجدد فيها نفسه ؛ واطمأنت
الفتاة إليه ، ووثقت به ، فصارا صديقين ، وكانت
قصة حياتها محزنة ، فكانت تقول له بشجوها
وهو ينظر إليها وقلبه يفيض بالمطف عاها ، ثم يرفه
عنها ويمسح لها على قلبها - حقيقة ومجازا -
ولا يتركها إلا بعد أن يعيد إلى وجهها البشر
والاشراق ، وإلى نفسها الرضى والسكون ، فوجدت
عنده المسكينة ما لم تجده عند أبيها ، وأصدقائها ،
فصار عندها فوق الصديق وأقرب ما يكون إلى
الحبيب ؛ وأدرك هو ذلك ، ففزع وخشى أن
يتورط معها في علاقة يكون من ورائها حرج له
ولها أيضا ، وانفق يوما أن فتح أبوابا له الباب ،
وقال له بلهفة :

« ادخل يا سيدي بسرعة ... ايللى ...
ايللى ... »

فسأله : « مالها ؟ »

فقال : « مضطربة ... جدا ... ولا أحد
يستطيع أن يعيد إليها نفسها سواك ... عجل
يا سيدي ! »

فرى طربوشه ومطفه - فقد كان الوقت
شتاء - وحث خطاه إليها فألقاها راقدة على
سريرها وصدرها يملو ويهبط كموج البحر ، فتناول
كفها في صمت ومسحها وربيت لها على خدها
وإذا بدموعها تنسابل ، وتجرى على خديها الى
عنقها ، فقال لها برقة وعطف : « ابكى ... ابكى إذا
شدت ... فانه أشقى ... لا تخجل ! »

فتهدت ورفعت كفها الى عينيها ، وكفكت

وأخشاه ... است لي ولا أنا لك فيحسن أن ينهني الأمر الآن »

فحدثت في وجهه كالمهوبة فقال : « نعم ... هذا خطأ ... خلط فطيع ... وأنا المستول فقد كان ينبغي أن أقدر هذا كله وأن أستشف النهاية من البداية ... ولكنني أعترف أنني استعذبت صداقتنا وسكنت نفسي إليها واطمأنت ، فخلل الرضا عزى وأضعف رأيي ، حتى رأيت منك ما رأيت الليلة فعادت إلى القوة فهل أنت فاهمة ؟ »

فصاحت به : « ولكن هذه قسوة ... ظلم ... »

قال : « القسوة والظلم أن أدعك تلجين في حالة ليس لها من عاقبة إلا الحسرة والندم والألم » قالت : « ولكن لا أبني منك شيئاً ولا مطلق لي في شيء ... إني أعرف أنك متزوج ... دعني أحبك . ما ذا عليك لو فعات ؟ »

قال : « هذا كلام تقوابينه الآن ... صديقي فاني أدري منك بالحياة ، وأعرف بالنفس الإنسانية وأطول خبراً ، وأعمق في الأمور نظراً ... تسألين ما ذا على لو تركتك ؟ الجواب يا فتاتي المسكينة أن على تبعة أمام ضميري ... أنا أيضاً أحبك ... »

فصاحت مقاطعة : « انتهىنا .. تعال تعال .. » فقال : « مهلاً .. لا تعجلي .. نعم أحبك .. حب لي لك حب الصديق بل أكبر وأقوى ... هو كحب الأب أو الشقيق إذا شئت ... ولكنه مع ذلك من نوع آخر ... هل تسمحين لي أن أحدثك بصراحة ؟ حسن ! ... اسمحي إذن ... نعم أحبك حباً لا هو عشق ولا هو صداقة ولا هو حنو أب أو أخ ... لا أدري ماذا هو ، ولكنني أدري أنه

من دمعها ، وتركها هو تفعل ذلك وأقبل على ذراعها بدلسكها ، وعلى صدرها أيضاً ، وعلى ساقها ورجلها وهي ساكنة مطمئنة ، وكان وجهه إلى قدميها ، وهو بدلسكها ، ثم رمى إليها نظرة خاطفة فألفاها قريرة العين تبتسم كأنما ترى حلماً جميلاً ، فرد وجهه إلى القدمين وقال لنفسه : « آه .. كان ماخفت أن يكون ... ما العمل الآن ؟ » وحيره السؤال وجوابه ، فترك الأمر للمقادير ولالهام اللحظة ، والتفت إليها وسألها بعينه : « أحسن ؟ » فأجابت بابتسامة ، ونحّت خصلة من شعرها الذهبي عن جبينها الوضاء ، فحنا عليها ، وأراح كفيه الغليظتين على جانبي محياها الدقيق المعارف وقال لنفسه : « هذه فرصتي اثناً كبد ما بيننا من التفاوت في السن واستعصاء الحب الطويل العمر ، المأمول الخير بيننا » وكيف يتركها محبة وهو خالق أن يعلمها بعد شهر ؟ ومال عليها واثم جبينها فضحكت ضحكة عصبية وقالت : « كأنك أبي بقبلي » وكان هذا ما يريد أن يقرره في نفسها ... أنه كأنها ... فادعى أنه لم يسمع ما قالت واعتدل وأخرج سيجارة وهم بأن يشعلها ، وإذا بها تنتفض قائمة وتخطف السيجارة ، وترى بها وتطوقه بين ذراعيها وتهوى على وجهه بالقبل الحار ، وهو مستسلم لهذه الثورة العصبية وإن كان قد لف ذراعه على خصرها وكأنما أضجرتها فتوره ، فدفعته بكفها وانحنى وأنشأت تبكي وتنشج ، كأنما كان قلبها يتفطر ، ثم قالت له وقد سكت قايلاً : « معذرة ... إنني آسفة ... قل إنك غفرت لي » فأشار إليها بيده إشارة من يريد أن يقول إنه لا شيء هناك يستوجب الاعتذار ثم قال لها بجذ : « اسمي يا ابلي ... لقد كنت أقدر هذا

الغرفة : « أشكرك مرة أخرى ... والآن هل انتهى
الدرس الذى تلقينه على ؟ »

فقال : « لا تنهكى ... انى أتكلم جاداً ...
لماذا لا تفهمين ؟ »

فقالت وهزت كتفها : « أحسب أن إدراكى
قاصر ... هذه الفلسفة عويصة »

فنهض وقال : « إذن لم يبق لى كلام ... فهل
تسمحين لى أن أخرج ... أعنى أن أودعك ؟ »

قالت ببرود : « أوه ... أمسافر أنت ؟ »
قال : « أظن ... الغالب ... يحسن أن أسافر »

قالت : « أرجو أن أراك بخير »
وشمر وهو خارج أنه أذلها ، فقد باحت له

بحبها فصدھا وردها بقسوة وغلظة . ولكن القسوة
تكون فى أحيان كثيرة خيراً من اللين الوبيل ...

قسوة ! ولين ؟ كلام فارغ ! فلسفة سخيفة !
لماذا لم ينعم بهذا الحب الذى وفق إليه ؟ ... هذه

فتاة جميلة مهيبة تحسن الحديث وتستطيع أن
تخوض معه فى كل موضوع ، وقد ألقاها القدر بين

يديه ، وصارحته بأنها تحبه ، وأنها لا تبغى منه
شيئاً ، وأنها تدرك مقتضيات موقفه ، ولا يخفى

عليها أنه متزوج ، وأنه رب أسرة ، وأن لا سبيل
بينهما إلى أكثر من الصداقة الوثيقة ، وأنها

موطنة نفسها على ذلك كله ... وهو يحبها أيضاً ...
ليس حباً فى الحقيقة ولكنه يأنس بها ، وتطيب

نفسه بالوجود معها ، وينشرح صدره ويذهل عما
يسخطه ويضجره فى الحياة ، فلماذا قطع الحب وأبى

إلا أن يكون سخيلاً أحمق ؟ ... وأين يجد خيراً
منها ، وأصفى نفساً ، وأكرم خيلاً ، وأحسن ودّاً

وأظرف وأحلى ؟ ... أوه ! ... ولماذا يطلب غيرها ؟

يسرنى أن أريح يدى على صدرك ، وأن ألس
بأطراف أصابعى نديك ، وأن أطوقك بذراعى ...

وأشتهى أن أضمك أيضاً إلى صدرى ... أضمك
كما يضم الوكر الحمامة ... وأن ألس شعرك ... أن

أعبت به وأرسل خصله المتوجة على خديك
الأسيلين ... وأن أرفع ساقك فأضمها على ساقى

ونحن نقرأ ... وأحس أحياناً بلسمة نار ... كأن
لساناً من اللب الحامى يرتفع فجأة فيلسع قاذى ثم

يزول هذا عنى بأسرع مما كان ... فأقضى الى سكونى
وبرودى المألوفين ... وما أكثر ما جلست الى

جانبك والكتاب أمامنا ، وذراعى حول ظهرك ؛
وأصابعى على نديك الناهد ... وما أكثر ما نظرت

فى عينيك كأنما أريد أن أغوص على سر نفسك ...
وأحسب أنك لم يفتك ذلك ... ولعل أسأت به من

حيث لا أريد ... ولا أدرى ... ولكن ما أكثر
ما كبحت نفسى ورددتها عما تشتهى ... إشفافاً

عليك ... اسألى نفسك أين يمكن أن ينتهى هذا
إذا بدأ ؟ ... النهاية خفيفة ... لك أولاً ... ثم إلى

لا أريد أن أعانى الحب ... لا صبر لى عليه ... ولا
لذة لى فى جنونه ... كلا ... لا أريد أن أحب ...

لهذا خنقت العاطفة وهى واعدة ... قلت لنفسى :
هى أسمى ، ودستها بقدى هاتين ... وما زلت

أحبك يا إيللى فما يسمنى غير ذلك ، ولكنه عطف
وحنو ومودة ... ذلك أنى كالأعصار ... خفيف ...

وأنا أخاف عليك من نفسى لأنى أعرف نفسى ...
قولى إنك تفهمين وتدركين وتمدرين »

فلم تقل شيئاً من هذا ولكنها ضحكت وقالت :
« أشكرك »

ثم قالت وهى تنهض عن السرير وتمشى فى

وهو اليوم على موعد معها، ومع فكرى وصاحبته « رقيقة ». . . وقد اعتزم أن يخاف موعد سميرة وأن يحدد نفسه باقواء رقيقة وأن كانت لغيره . ودخل عليه فكرى وقال بلا تحية : « هه ، قم » فأحس عاقل أن رأسه يدور ، ويدور وقال : « إلى أين ؟ ألا يمكن أن تعفينى ؟ »

قال فكرى : « كيف يمكن ؟ إن رقيقة تلح على أن أجيء بك »

فقال لنفسه : « تلح عليه ؟ لماذا تلح ؟ كلام فارغ . . . وهبه غير فارغ فماذا يعنينى من رقيقة أو غيرها ؟ . . . لماذا أعذب نفسي وأشقيها ؟ . . . ليس هى رقيقة . . . بل هى أن أجده فتاة أحبها وحسبى منها ألا أكون ثقيلا عليها وبغيبا إليها . . . يا لهكم الأقدار . . . كانت لنا فتاة تحبنا وتقتنع منا بأن ندعها تحبنا . . . ولم نكن نكرهها . . . ولكننا اغتررنا وتبطرنا فرفضنا النعمة التى ساقها إلينا حسن الحظ والآن نندم ونشتهى أن نحب ونقتنع بالألا نكون ثقلاء . . . يا لسخرية الأقدار ! » وقال لفكرى : « أرجو أن تعفينى . . . لا أستطيع . . . رأسى لا أدرى ماله . . . ولكنى لست فى حالة تصلح لمثل هذه الجلسة »

فقال فكرى ملحا : « قم يا شيخ . . . رفه عن نفسك . . . هذا تأثير العمل المتواصل . . . يجب أن تريح نفسك قليلا . . . إن هذا انتحار . . . قم . قم . . . » فأبى عاقل إلا العناد ، وأصر على الاستعفاء ، فلم يجد فكرى حيلة فانصرف أسفا

ولم يكذب يذهب حتى ندم عاقل ومازعتة نفسه أن يلحق به ، ولولا الحياء لافعل . وخرج من مكتبته وهو يقول لنفسه : « مالى أنا ؟ إنهما حبيبان فما

لماذا لا يقتنع بيته ؟ . . . يقتنع ؟ . . . نعم ينبغي أن يقتنع بحياته الهادئة المنتظمة ، ماذا جرى لعقله ؟ يجب أن يروض نفسه على الرضى والسكون والقناعة بالوجود ، كما راض نفسه على قطيعة إبلى . . . أيقوى على هذا ولا يقوى على ذلك وهو أولى ؟

ولم تتركه إبلى إلا بعد أن بثت - كتبت إليه بضعة رسائل تستعطفه وتلح عليه أن يرجع فكان يرد إليها الرسائل من غير أن يفضها ، فقد كان يعرف خطها فلم يسمها إلا أن تقصر

ومضت شهور ، استطاع فيها أن يحمل نفسه على مكروهاها ، وأن يلزم بيته ، ويتخلى لعمله ، ويصرف عينه عن النظر والتطلع ، وقابه عن الاشتها ، حتى لقي سميرة . . . فتذكر أنه رأى مرة طفلا يفحص الأرض بقدمه فتفعلت حصاة صغيرة فنحاهها الفلام بأصبع رجله ، وإذا بالماء ينبع ويروح يفور منها ويسيل على وجه الأرض . . . كذلك هو . . . كان شىء فى نفسه محبوسا . . . كانت عواطفه الزاخرة لا يحجبها إلا شىء رقيق . . . فلم يكذب يلتقى بفتاة تضع أصبعها على قلبه ، كما كان ذلك الفلام يصنع بقدمه ، حتى أنهدم السد الذى يحجز الطوفان ، كما تفعلت الحصاة فانثبثق الماء من تحتها . ولم تكن سميرة ترضيه ولكنها كانت تعلم . . . وكان فيه وفاء فأبى له أن يرى بها على حين تقبل هى عليه . . . غير أنه مع ذلك مل . مل . مل . . . يريد خيرا من سميرة . . . أذكى وأبرع . . . وأرشد وأظرف . . . أحلى ابتساما . . . وأرسخ نديا . . . وأعدل قواما . . . لقد سمعت سميرة . . . غلظت ساقها واكثر لهما . . . أوه لماذا تركت نفسها تزداد لهما وتنقص جمالا ورشاقة ؟

ولا قيمة لها ... أهذا صحيح ؟ ... أوه ... هذا
وجع رأس ... أكف والسلام ... وبعد ذلك
أبحث عن البواعث ... أستطيع أن أقنع نفسي
بشرف البواعث ... ولكن لماذا أغالط نفسي في
الحقائق ؟ ... أمغفل أنا ؟ ... من الذى قال إنى أغالط
نفسى ؟ ... إذن كن صريحاً يا شيخ ... هب الآن
أن فتاة جميلة من اللواتى يصبو إليهن قلبك قابلتك
الآن ؟ ... مجرد فرض بالطبع ... لا أمل فى ذلك
ولامطمع ... ومن أين تجيء منى النفس هذه ؟ ...
ليتها تجيء ! ...

وإنه لماش يتحدث نفسه بهذا وما إليه ، وإذا به
يلتقى بصديق يصيح به بصوت عال كأنما ظنه
أصم : « أهلاً » ويعطها كأنما يصيح بقوم بعيدين ،
فقال له عاقل : « ماذا عندكم اليوم من المأكول ؟ »
وكانت صداقته به وثيقة ، وبين الأسرتين مودة ،
فقال صاحبه « زكى » :

« أوه ... وما الذى أدرانى ؟ تعال معى وكل
الموجود »

قال عاقل : « حسن . امض بى الى المائدة فانى
أتضور جوعاً »

فسأله زكى : « وأين السيارة ؟ مع الست ؟ »
قال : « لا الست ولا السيد ... تركتها
لأتمشى »

وبلغا البيت وأقبلت عليه أخت زكى
— كريمة — تحييه وترحب به ، فقال زكى :
« ألا تهنئها ؟ »

قال عاقل : « خير ان شاء الله ؟ . مبروك على
كل حال »

فاضطرم وجه كريمة ، وكانت سبيحة الوجه

محلى بينهما ؟ حسنا فعلت بالاعتذار » وقال لسائقه
— فقد كان له سائق ينفية أكثر الأحيان من
العمل — : « اذهب أنت بالسيارة ... سأتمشى »
فسأله السائق : « ألا أقول لهم شيئاً فى البيت ؟ »
قال : « لا أعرف متى أعود ... وخذ ...
أعط الست هذا »

وناوله خمسة جنيهات ، وأحس بالراحة لما فعل
ذلك كأنما كفى به عن سيئة الصباح والريال الذى
دس به يده تحت الحدة ولم يترك سواء لزوجته ؛
ومشى يتحدث نفسه أنه كان سخيلاً مجرمًا ... معه
كثير ... غير الخمسة الجنيهات التى دفع بها إلى
السائق أيضاً ... ومع ذلك يستبقها ويترك ريالاً ...
ولماذا ؟ ... لأنه قد يتفق له أن يلتقى ... أوه
بالسخافة ... ونقص العقل ... وسوء الرأى ...
ماذا ترى يكون رأى زوجته فيه لو عرفت هذا ؟ ..
زوجته التى تثق به ولا يمكن أن يختلج فى نفسها
شك أو تخطر على بالها ريبة ؟ .. ولو كانت زوجته
من هؤلاء المصريات اللواتى لا يفتأن يخرجن إلى
حيث لا يدري أحد ؟ ... أعوذ بالله ! ... لا بل
الحمد لله ، والشكر له ، على هذه النعمة الجزيلة ...
نعمة الاطمئنان على عرضه وشرفه ... وهل جزاؤها
أن يخونها وهى آمنة مطمئنة ، ووثيقة فى عفته
وطهره ؟ ... لا . يجب أن يكف عن هذا كله ...
إن أعصابه متعبة مرهقة ، وهو يزيد إرهاقاً بهذا
السلوك العيب ، فليكف ليريح أعصابه ، إذا
لم يكف وفاء لزوجته واحتراماً لها ... بل يكف
وفاء لها ، وإلا كان الكف غير خلاق بأن يريح
ضميره ... يكف والسلام ... هذا هو المهم ...
البواعث لا تهتم هنا ... ولكن أمى لا تهتم ؟

نضيرته ، ونجلاء حوراء ، وهيفاء ممشوقة ، وقال
زكى : « أنظر الى بدها وخن »
فنظر عاقل فرأى الخاتم قابئهم وقال : « هل
أهني بلساني أو بفعي ؟ »

فقال زكى : « وما الفرق ؟ »
قال : « الفرق هو هذا . تعالى هنا يا ستي . .
أين ينبغي أن أقبلك ؟ . . أقول لك . . في كل مكان
إلا شفيتك . . أدع هذين لخطيبك . . فان هذا
حقه ولا يجوز أن أعتدى عليه »

وقال زكى : « ولكن هل الحب بالارادة ؟ »
وقالت كريمة : « ولكنك تحب زوجتك ؟ »
فقال يجيبهما : « نعم بالارادة . . أشغل قلبك
بارأة معينة ، يشغل . . وأنت يامولاتي أقول
لك إنى أحب زوجتي . . وسأظل أحبها . . ما في
هذا شك . . بحكم المادة على الأقل . . ولكنه
حب هادى فآثر . . قولى إذا شئت إنه حب
رزين . . وماذا ينفع الحب الرزين ؟ . . ان الانسان
يحتاج أحيانا الى وقدة الأتون ليصهر نفسه فى النار ،
فيصفو معدنه من الأخلاط التى تتكدس كالصدأ
على السلك فتقطع تيار الحياة . . التيار الروحى الذى
هو سر الحياة . . وهذا ما لا تستطيع زوجتي
الآن . . ولا أنا أستطيعه لها . . كلانا أصبح غير
صالح لأن يشير فى نفس صاحبه تلك الزوبعة التى
تحرك أعماق النفس وتطغى على السطح بمض
مارسب فيها ، وما لعله أصلح من الطاقى الآن . .
النفس تحتاج الى الزوابع أحيانا لابرار الكامن
وإثارة الدفين . . من يدرى ماذا فى أعماق
نفسى ؟ . . وماذا يمكن أن يدفع بهذا المضمهر الا
ثورة شديدة ؟ . . وكم دفنت حبا بارادتي ، فلماذا
لا أحب بارادتي ؟ . . »

فقال زكى : « ولكن هل الحب بالارادة ؟ »
وقالت كريمة : « ولكنك تحب زوجتك ؟ »
فقال يجيبهما : « نعم بالارادة . . أشغل قلبك
بارأة معينة ، يشغل . . وأنت يامولاتي أقول
لك إنى أحب زوجتي . . وسأظل أحبها . . ما في
هذا شك . . بحكم المادة على الأقل . . ولكنه
حب هادى فآثر . . قولى إذا شئت إنه حب
رزين . . وماذا ينفع الحب الرزين ؟ . . ان الانسان
يحتاج أحيانا الى وقدة الأتون ليصهر نفسه فى النار ،
فيصفو معدنه من الأخلاط التى تتكدس كالصدأ
على السلك فتقطع تيار الحياة . . التيار الروحى الذى
هو سر الحياة . . وهذا ما لا تستطيع زوجتي
الآن . . ولا أنا أستطيعه لها . . كلانا أصبح غير
صالح لأن يشير فى نفس صاحبه تلك الزوبعة التى
تحرك أعماق النفس وتطغى على السطح بمض
مارسب فيها ، وما لعله أصلح من الطاقى الآن . .
النفس تحتاج الى الزوابع أحيانا لابرار الكامن
وإثارة الدفين . . من يدرى ماذا فى أعماق
نفسى ؟ . . وماذا يمكن أن يدفع بهذا المضمهر الا
ثورة شديدة ؟ . . وكم دفنت حبا بارادتي ، فلماذا
لا أحب بارادتي ؟ . . »

فقال زكى : « ابن عمى ، سيد »
فقال عاقل : « سيد . . »

وأمسك فما يابق أن ينال منه أمام خطيبته ،
ويبسط لسانه فيه على مسمع منها ، مهما بلغ من
سعة صدرها

وقال زكى : « يظهر أنك لا ترضى عنه ؟ »
فقال عاقل : « طبعى ألا أرض عن أى رجل
يخطفها منا »

فقال كريمة : « ولكنه لن يخطفنى »
فقال عاقل : « بالطبع سيخطفك . . أنت
ترجسنا الآن جيما ولكن غدا ؟ تكونين ترجسته
هو وحده . . ثم إنه سيذهب بك الى الأقصر ،
فلا نعود نراك إلا كل حين وحين »

وقاموا الى طعامهم ، فقال عاقل وهو يفرك
الخبز الطرى ، أولبابه على الأصح ، ويفتله :

فقال كريمة - وأحس عاقل من نبرات

صوتها العطف - : « يظهر أنك تعذبت كثيرا...
صوتك وحده يدل على ذلك »

فقال عاقل بابتسام : « أوه ... إن أشد
ما يعضني ... أفسى ما أكابد ، هو هذا الفراغ ...
نفسى أصبحت صحراء جرداء فهل ألام إذا رحلت
ألمس الرى والخصب ؟ »

فقالت كريمة : « ولكن زوجتك ...
لا تستحق هذا منك »

فقال : « يافتاى تعلمى هذا الدرس .. لا تنتظرى
أن تظل نار الحب مستمرة .. لا يمكن .. ما من
شئ فى الدنيا يدوم ويخلد على الأيام ، فلماذا يخلد
الحب وحده ؟ .. هل تحبين خطيبك هذا ؟ »

فاستجيت أن تقول شيئا ، ولكنه خيل إليه
أنه يستطيع أن يقرأ فى وجهها أن كل فرحتها هى
بالزواج فى ذاته ، وأنه ليس ثم فيما عدا ذلك شئ
خاص .

وكأنما أرادت أن تحول الحديث عن مجراء ،
فقالته وهى تضحك : « قل لى من تنوى أن تحب ؟ »

قال : « من تظنيتها جديرة بحبي ؟ اختارى لى »

فقالته : « هل تريد أن تتزوج ؟ »

قال : « يا المرأة ؟ لا تفهم إلا هذا الاحتكار
الممل ... كلا ... أريد أن أحب ... فاختارى لى
كما يختار الصاحب لصاحبه الجياد التى يظنها رابحة
فى السباق »

فقالته وهى تضحك : « مرسى ... جعلتنا
جيادا ... »

قال : « لا تهربى ... إنك تعلمين أنى لا أعنى
هذا ... فاختارى ... أربى ذوقك »

فانقد وجهها وقالت : « وهل أنا أعرف ! »
وسمض ليرقد دقائق ، فقد كان والداها فى طنطا
يزوران السيد البدوى ، فى البيت منسج له ، وخطر
له وهو يضى الى غرفة من غرف النوم ، وهى تمشى
أمامه ، أن فى وسعه أن يحبها ... فان لها لغتها ،
وإن كانت دون اللينور - ابلى كما اعتاد أن
يسمىها - آه لما ذا ترك ابلى وتخلي عنها ؟ حماقة !
لا خير فى الندم الآن ... ونام وهو يفكر فى كريمة
وفى إمكان ... ولكن كيف يمكن ! كيف يمكنى ؟
وأيقظته ، كما رجا منها أن تفعل حوالى الساعة
الخامسة مساء ، فمد يده اليها فأنهضته ثم أراح
كفه على كتفها وهو يقف وأحس أن يده انحدرت
عقوا الى صدرها ، ولمست نديها الناهد ... فشعر
بالدماء تغلى فى عروقه ، ودار رأسه فجذبها اليه ،
وضمها وقبلها ... قبل فها هذه المرة

وقالت وقد تخلصت من عناقه : « احذر أن
تقاط مرة أخرى ... لست لك ... »

فسألها : « ولماذا لا تكونين لى » وخطر له
أنها تقول له ما قاله هو لابلى ؟ بالسخرية !

فقالته : « أنت تعرف ... »

قال : « أتكرهين أن أحبك ؟ »

فقالته : « هل تحبى ؟ »

قال : « من يدري ! ربما كنت أحبك ...
لعل كنت أحبك طول الزمن الذى أتوهم فيه أنى
لا أحب ... لعل هذا كان السبب فيما أحس أنى أعانيه
من الشقاء ... شقاء الذوى والجفاف ... سأرى
الليلة ... غدا أقول لك هل أحبك أولا أحبك »
فقالته : « لماذا تهكم على ؟ »

على السر . اهتديت إلى أصل الداء . الراحة ؟
كيف السبيل اليها وأنا كاليفعل المشدود إلى الساقية
وكلا ونى أو وقف صاح به صاحبه : « عا ... عا »
أو ألهب ظهره بالسوط ... ليس لى سيد ... ولا
أسمع أحداً يصيح بى ليستحبنى ... ولكن السوط
فى يد الزمن ... ووقعه على روى ، لا على الجلد ،
ولو كان على الجلد لهان . نعم يجب أن أرتاح ...
أقول لك ... سأذهب الى لبنان وأخذ زوجتى
وأبنائى مئى ... لينتج تيجئين معنا ... إذن لم
هنائى ... هل تستطيعين ؟ »

فهزت رأسها فقال : إذا كان كل ما يملك ...
فهذا لا قيمة له « ولم يصرح

فقلت : « كلا ... يجب أن أكون بعيدة عنك
ما رأيت منك اليوم يوجب الحذر من قربك ...
أنت كالنار ... ولست أريد أن أحترق »
قال : « صدقت ... وأنا يجب أن أأخذ نارى
ولماذا ؟ ولكن لماذا أخنق نفسى ؟ »

قلت : « يجب ... إلى كبتك ، ولكنى
أعرف أن هذا هو الواجب وألح عليك أن تلتزمه
فأحس أن خنجرنا نفذ الى قلبه ... كبتته ...
وارتفعت يده إلى شعره كأنما ظن أنه فى وسعه أن
يرى الشعر الأبيض فى الظلام بيده ! كبتته ؟ ؟
لولا هذه الشمرات البيضاء ؟ ؟ أوه ... ما الفائدة ؟
ما الفائدة ؟

وظلت كلتا « ما الفائدة » تدوران فى نفسه ،
ويرددان بلا صوت ، وهو راقد فى ليلته تلك ، على
سريره إلى الفجر حتى غلبه النوم !

ابراهيم عبد القادر المازنى

قال : « والله إنى لصادق ... لست أعرف
نفسى ... تعالى ... »

قالت : « احذر ... ألم أقل إنى لست لك ؟
ثم ان زكى قادم »

قال : « أهذا كل ما تخافين ! »
قالت : « كلا ... لست لك ... فلا تخرجنى »
قال : « قبلة واحدة »

فهزت رأسها وقالت : « إنى آسفة ... متألمة
لك ... أشعر أنك غير سعيد ... ولكن ماذا أصنع
اعذرنى »

قال : « أشكرك على هذه . صدقت . لست لى
معذرة »

قالت : « الآن خذ القبلة . أصبحت
تستحقها . »

فقبلها . لا قبلة خفيفة بل بنهم وشده ، فقالت
وهى تنأى عنه وتتحنس شفتيها : « أعوذ بالله ...
ورمت شفتاى ، ما هذا ؟ »

قال : « اعذرى ... صرت كالجل الذى يدخر
للأيام المقبلة .. أيام القحط والمحل والجوع .. »

ومضى بهما فى ذلك المساء إلى السينما ، وكانت
جالسة بينه وبين أخيها ، فكان يهمس فى أذنها من
حين إلى حين ، كأنما كان يفترض علمها بما هو دائر
فى نفسه من الخواطر : « صدقت . لست لى »
فكانت تبتسم ولا تقول شيئاً . وماذا عسى أن
تقول ؟ . ثم همس : « هل أنت ساخطة على ؟ »

قالت : « كلا . بل أنا متوجعة لك . ومتعجبة
أيضاً : أظن أنك محتاج إلى راحة »

قال : « صدقت . إنك حكيمة جداً . وقعت

في عتمة الموت

على جسر أول كريك

لامبروس بيرس بقلم عبد الحميد حمدي



— ١ —

على الأقدام ، ولم تكن العين لتقع وراء أحد هذين الحارسين على شبح إنسان ، فقد كان الخط الحديدي يتجه مستقيماً إلى الغابة مسافة مائة ياردة ثم يلتوى ويختفي عن الأنظار ، وما من شك في أن كان هناك وراء ذلك مخفر أمانى ، وفي الضفة الأخرى من النهر فناء مفتوح ، يحيط به سور من جذوع الشجر العمودية ، التي تستعمل المسافات الضيقة بين أحدها والآخر فتحات لإطلاق البنادق من خلالها ، وفي البناء كوة واحدة تبدو منها ماسورة مدفع من النحاس يتحكم في الجسر ، وفي وسط الطريق بين الحصن والجسر . وقف النظارة الذين سمح لهم بمشاهدة تنفيذ حكم الإعدام — ولم يكن هؤلاء النظارة غير صف واحد من جنود المشاة ، وقفوا موقف الاستعراض ، ارتكزت بندقياتهم على الأرض ، ومالت مواشيرها قليلاً إلى الورا مستندة إلى أكتافهم اليمنى بينما أيديهم مشبكة حول سوق هذه البنادق ، ووقف إلى يمين الصف ضابط برتبة ملازم ارتكز من سيفه على الأرض ، وقد استندت يده اليسرى إلى اليد اليمنى . وفيما عدا الأربعة الرجال ، القائمين فوق الجسر بمهمة التنفيذ ، لم يكن أحد ليتحرك ، بل وقف الجميع ينظرون إلى الجسر ثابتين كالصخور الجامدة ، أما الحارسان اللذان يواجهان صفتي النهر ؛ فقد

على جسر للطريق الحديدية في آلاباما الشمالية ، وقف رجل ملوى الساعدين إلى ما وراء ظهره ، مشدود الوثاق عند المعصمين ، وقد أحيط عنقه بحبل مهوى معلق إلى صليب من الخشب اللين فوق رأسه ، وقد تدلت نهاية الحبل إلى مستوى ركبتيه . وكانت عيناه شاخصتين إلى الماء السريع الجريان تحت عشرين قدماً من موقفه

وفوق الكتل الخشبية المرتكزة عليها القضبان الحديدية ، وضمت ألواح من الخشب غير مثبتة أعدت ليقف عليها الرجل وجلادوه ، وهم جنديان من جنود المراسلة في جيش الاتحاد يقودها ضابط صف يغاب أنه يعمل في الحياة المدنية نائب عمدة ، وعلى مسافة قريبة فوق هذه البسطة الموقفة نفسها وقف ضابط مسلح ، في ملابس الجندي التي تدل على أنه قائد مائة ، وعلى كل من مدخلي الجسر وقف جندي يحمل بندقيته في وضع عمودي أمام مقدمة الكتف اليسرى ، وقد ارتكزت قاعدتها على الزند الممدود أفقياً على الصدر — وهو وضع رسمي غير طبيعي رغم الجسم على التصلب في وقفة متعبة ولم يكن يبدو من هيئة هذين الحارسين أن من مهمتهما معرفة ما يجري وسط الجسر ، فقد كان كل عملهما أن يسدا الممر الخشبي المدلعبور للمشاة

الحديدية ، وكان موقف المحكوم عليه قريباً من رباط رابع ولكنه غير متصل به . وكان ثقل قائد المائة الذى حل محله ثقل ضابط الصف هو الحافظ لتوازن اللوح الخشبي والحائل دون سقوطه ، فتى أشار القائد لضابط الصف إشارة التنفيذ ، وتنحى هذا عن موقفه مال اللوح بالمحكوم عليه فيسقط الرجل بين رباطين من أربطة الجسر . وهكذا كانت الاستعدادات التى اتخذت لاعداد الرجل بسيطة فمالة ، ولم يكن وجهه قد غطى ولا عيناه عصبنا . ونظر الرجل لحظة إلى موقفه المزعزع ، ثم شخص بصره نائهاً إلى الماء المضطرب فى عنف جنونى تحت قدميه ، فاسترعت انتباهه قطعة من الخشب ترقص فوق الماء ، فتبعها نظره وهى تسير مع التيار . فما كان أبداً حركتها فى تقديره ! وباله من سر بلید مكسال !

أغمض الرجل عينيه وحصر تفكيره الأخير فى امرأته وأطفاله ، ولكن الماء الذى ألقى عليه شمس الصباح وشاحها الذهبى ، وأثر الضباب المتبدد فوق الماء على مسافة غير قريبة من موقفه ، والحصن والجنود ، وقطعة الخشب العائمة فوق الماء ؛ كل هذه المرئيات التى وقع عليها نظر الرجل التعميس قد شتت تفكيره ، فلم يستطع حصره كما أراد — على أن عاملاً جديداً الاضطراب قد أضيف الآن إلى هذه الموامل ، فقد شوش تفكيره فى أعزائه صوت لم يستطع تجاهله ولا فهمه ، صوت معدنى ، حاد . واضح ، أشبه بصوت ضربات مطرقة الحداد على السنديان ، فرنة الصوتين واحدة ، واقد حار فى تعرف مصدر ذلك الصوت ، ولم يستطع أن يتبين إن كان هذا الصوت قريباً منه أو بعيداً عنه — فقد خيل إليه أنه قريب وبعيد فى وقت

كانا أشبه بتمثالين يزينان مدخل الجسر ووقف الضابط قائد المائة مشبك الساعدين على صدره يرقب فى صمت عمل مساعديه ، والحق أن الموت لذو مقام عظيم ، إذا أقبل ، معلناً عن قدومه ، استقبل بمظاهر الاحترام الرسمية حتى لدى هؤلاء الذين ألفوه ، والسكوت والجمود من مظاهر الاحترام فى القانون المسكرى

وكان الرجل الذى اتخذت هذه الاستعدادات لاعداده ، لا يتجاوز الخامسة والثلاثين ، فيما يبدو من مظهره ، تدل ملابسه وهى ملابس الزارعين ، على أنه من الرجال الدينين ، جميل تقاسيم الوجه مستقيم الأنف ، ثابت الفم ، واسع الجبين ، قد سرح شعر رأسه الأسود الطويل إلى الوراء متديلاً خلف أذنيه ، إلى ياقة سترته الحسنة القطع ، ذا شاربين ولحية مديبة ، واسع العينين أسودهما ، فى نظراته رقة يصعب أن يراها الانسان فى عيني الرجل الذى وضع عنقه فى خية الجلاد ، وكان واضحاً أن ذلك الرجل لم يكن من القلة السفاكين ، على أن قانون المسكرية المطلق كفيل باعدام أى صنف من أصناف الناس دون استثناء للسادة من ذوى الخلق الكريم

وإذا تمت معدات التنفيذ وثب الجنديان المحيطان بالمحكوم عليه عن موقفيهما وسحب كل منهما لوح الخشب الذى كان واقفاً عليه ، والتفت ضابط الصف إلى قائد المائة ، فحياء ووقف وراءه مباشرة . وفى هذه اللحظة ترك الضابط مكانه ووقف على مسافة خطوة من مصطبة الاعداد . وكان من أثر هذه الحركات المتتالية أن ترك المحكوم عليه وضابط الصف واقفين على طرفي لوح واحد من الخشب ، مركز على ثلاثة من أربطة الجسر

واحد . وكان تنابيع الدقات منتظما ، ولكنه كان بطيئا كدقات نافوس الموت . وكان ينتظر - وهو لا يدري لماذا - هذه الدقات بصبر فارغ وتنبيه شديد . وكانت الفترات بين الدقات بعضها وبمض قد بدأت بالتدرج ، وأصبح تباطؤها مما يسبب الجنون ، فقد اصطحب هذا التباطؤ الشديد بازدياد الضربات قوة وحدة ، فكانت تؤذي أذنيه كما لو كانت وخزات سكين ، ولقد خشى الرجل أن يصبح متوجما . ولم تكن هذه الدقات غير دقات ساعته !

وعاد الرجل ففتح عينيه فرأى الماء تحته مرة ثانية . وقال في نفسه : « لو استطعت أن أخلص يدي من قيدهما لكان من اليسور أن أطرح الحية عن عنقي وأن أثب إلى الماء . وعندئذ أستطيع أن أتق طلقات الرصاص بأن أغطس تحت الماء ، وإذا سبحت بقوة وصلت إلى الشاطئ واندفعت إلى الغابة ثم وصلت سالما إلى داري . وأحمد الله ألا يزال يبتنى بعيداً عن خطوطهم ، وما زالت امرأتى وصغاري الأعراء وراء أبعد نقطة وصل إليها العدو الغازي في تقدمه »

وفي ليلة ، بينما كان فاركوهار وزوجه جالسين فوق مقعد ريفي على مقربة من مدخل دارهما ، دنا من الباب جندي من الفرسان في ملابس رمادية ، وطلب ماء ليشرب . فكان من أشد بواعث السرور إلى نفس السيدة فاركوهار أن تقدم له الماء بيديها البيضوين . وإذا دخلت إلى الدار لتحضر الماء اقترب زوجها من الفارس الأخير وسأله في لهفة عن أخبار ميدان القتال

فأجاب الجندي : الأعداء مشتغلون بإصلاح الطرق الحديدية والاستعداد لتقدم جديد . وقد وصلوا إلى جسر أول كريك ، وأصلحوه ، وبنوا حصنا على الضفة الثانية . وأذاع القائد منشورا

بينما كانت هذه الأفكار ، التي تصورها هنا كلمات تندفع إلى رأس المحكوم عليه بدل أن تخرج منه ، أشار قائد المائة إلى ضابط الصف ، فوثب الضابط متنجحيا عن موقفه

- ٢ -

كان بيتون فاركوهار مزارعا ميسر الحال من أسرة قديمة لها في نفوس الناس مكانة سامية من الاحترام . وإذا كان الرجل مالك رقيق ، وكان كثيره من ملاك الرقيق سياسيا ، فقد كان بالطبيعة من طلاب الانفصال الأصليين ومن أشد الناس

فأجاب الجندي : الأعداء مشتغلون بإصلاح الطرق الحديدية والاستعداد لتقدم جديد . وقد وصلوا إلى جسر أول كريك ، وأصلحوه ، وبنوا حصنا على الضفة الثانية . وأذاع القائد منشورا

— ٣ —

عندما سقط بيتون فاركوهار تحت الكبري من الفرجة بين الرباطين ، فقد صوابه ، وأصبح كالرجل الذي فارق الحياة ، ولم يوظفه من هذه الحال — بعد أجيال ، على ما خيل إليه — إلا ألم ضغط شديد حول عنقه ، تبعه شعور بالاختناق ، وأحس بالآلام حادة شديدة تسرى من عنقه هابطة في كل عصب من أعصاب جسمه وأطرافه ، وخيل إليه أن هذه الآلام تومض في خطوط معينة تميزاً دقيقاً متفرعة في كل ناحية من نواحي هيكله ، وهي تدق دقاً متوالياً في سرعة لا يدركها العقل ، وكأنها أهر من النار الخائقة تصعد بحرارته إلى درجة تفوق حد التصور ، أما رأسه فلم يشعر فيه بشيء غير الاحتقان التام ، ولم تكن جميع هذه الاحساسات مصحوبة بشيء من التفكير ، فلقد طمس جانب التفكير من طبيعته ظمساً كاملاً ، ولم يبق له غير قوة الشعور ، وكان الشعور مؤلماً مسيئاً للعذاب ، كان يشعر بالحركة ، وأحس بأنه مغمور في سحابة ملتصقة هو قلبها المتقد ، وأخذ يتأرجح وسط دوائر غير مستقرة ، وهو مجرد من القوة السادية التي يستطيع بها أن يملك قياد نفسه ، فهو يتأرجح دون تفكير وبغير إرادته ، أشبه ما يكون برقص الساعة ، ثم إذا بالضوء المحيط به يندفع إلى أعلى اندفاعاً مفاجئاً صريعاً مصحوباً بصوت تحبط الماء تحبطاً خفيفاً مزعج الدوى في أذنيه ، ثم إذا كل ما يحيط به بارد مظلم ، وعادت إليه قوة التفكير ، فأدرك أن الحبل الذي يحمله في الهواء قد قطع ، وأنه قد هوى إلى قاع النهر ، وليس في ذلك ما يسبب له اختناقاً جديداً ، فلقد كانت الخيبة حول عنقه

علق في كل مكان ، أعلن فيه أن كل مدنى يضبط ، وهو يحاول العبث بالطرق الحديدية أو جسورها أو أنفاقها أو القطارات ، يشق في الحال . ولقد رأيت هذا المنشور بنفسى — وكم هي المسافة من هنا إلى جسر أول كريك ؟

— حوالي ثلاثين ميلاً

— ألا توجد قوة على هذه الناحية من النهر ؟
— لا يوجد غير مخفر البوليس الحربى على مسافة نصف ميل من الجسر إلى جانب الطريق الحديدى ، وحارس واحد عند مدخل الجسر فقال فاركوهار مبتسماً :

— وإذا فرضنا أن رجلاً — وليكن مدنياً وطالب شتى — استطاع أن يمرق ، غير ملاحظ ، من مخفر البوليس الحربى وأن يتغلب على الحارس ، فماذا يكون في مقدوره أن يفعل بعد ذلك ؟
ففكر الجندى قليلاً ثم أجاب :

— لقد كنت هناك منذ شهر ، ولاحظت أن فيضان الشتاء الماضى قد حمل كميات كبيرة من الأخشاب فكدمها بجانب الدعامة الخشبية عند نهاية الجسر ، وهذه الأخشاب الآن جافة ويمكن أن تذهب كالحطب

وهنا وصلت السيدة تحمل الماء ، فشرب الجندى وشكر لها صنيعها في احترام شديد وانحنى لزوجها ثم انطلق بجواده . وبعد ساعة ، بعد أن هبط الظلام ، عاد مرة أخرى فر بالزرعة متجهماً إلى الشمال في نفس الطريق التي جاء منها في المرة الأولى

لقد كان الرجل كشافاً في جيش الاتحاد

تخففه فعلا وتحول دون وصول الماء إلى رئتيه ، أيموت في قاع النهر مخنوقا بحبل ؟ ! لقد بدت له هذه الفكرة فكاهة تبث على الضحك ! ففتح عينيه في ذلك الظلام الدامس ، ورأى فوقه وميضاً من النور ، ولكنه لم يستطع أن يتعرف المدى بينه وبين هذا الضوء ، ولا مبلغ الصعوبات التي تترض الطريق إليه ! وكان لا يزال يهبط ، فأخذ الضوء يتضاءل شيئاً فشيئاً حتى أصبح مجرد بصيص ، ثم عاد الضوء بنمو ويزداد وضوحاً ، إذن هو يرتفع مرة أخرى إلى سطح الماء — أدرك ذلك كارهاً ، لأنه كان في مستقره هذا يشعر بشيء من الراحة والاطمئنان ، وقال في نفسه : « ليس من المكروه أن يشنق الإنسان ثم يفرق ، ولكنني لا أريد أن أضرب بالرصاص ! لا لن أضرب بالرصاص ، فهذا أمر غير محبوب »

لم يكن المشنوق الفريق مدركاً أنه يبذل أي جهد في سبيل الخلاص ، ولكن الماء حاداً في معصميه نهمه إلى أنه كان يحاول تحرير يديه من قيدها ، فالتفت إلى هذا الجهد كما يلتفت البليد إلى حركة المشعوذ غير مكترث للنتيجة ، وباله من مجهود عظيم ! — يالها من قوة هائلة فوق طاقة البشر ! آه . . . لقد كان ذلك جهداً بديماً ! صرعى ! لقد أفلت الجبل معصميه ، وانطلقت ساعدها حرتين تطفوان فوق الماء ، وقد رأى يديه على جانبيه في شيء من الغموض ، كأنما يراها من وراء السحب ، وكان الضوء يزداد انتشاراً لحظة بعد أخرى ، ولم يلبث أن أهتم بحركتهما عند ما اندفعت الأولى ، ثم تبعتهما الأخرى واثبتين على الجبل الملقوف حول عنقه ، لقد اختطفنا ذلك الجبل وقذفنا

به بعيداً في كثير من العنف ، وقد أشبه تلويح تلوي ثعبان الماء ، فحبل للرجل أنه قد صاح مخاطباً يديه : « أعيدها مكانه ! أعيدها مكانه ! » فقد أعقب نزع الخلية عن عنقه ألم مبرح قاس لم يكن قد أحسه بعد ، كان عنقه يتوجع توجهماً صرعاً ، وكأنما النار تلتهم في رأسه ؛ وقلبه ، الذي كان يدق دقاً ضعيفاً ، وثب الآن وثبة كادت تخرجه من فيه ، وفي الجلة دب الألم والوجع الذي لا يطاق في كل قطعة من جسمه ، ولكن يديه العاصيتين لم تحفلا بأمره ، فقد أخذتا تضربان الماء في عنف ضربات سريعة إلى أسفل ، مرغمتين الجسم بذلك على الصعود وشمر برأسه يبرز من الماء ، ثم غشيت عيناه بضوء الشمس المشرقة ، وتمدد صدره في حركة تشنجية ، وابتعلت رئتاه في ألم قتال كمية كبيرة من الهواء لم يلبث أن زفره متوجعاً !

أصبح الرجل الآن مالكا جميع مشاعره الطبيعية . وفي الحق قد سارت جميع حواسه حادة متيقظة لدرجة غير عادية . فلاضطراب الروح الذي أصاب جهازه العضوي قد ضخم هذه المشاعر وأرهفها : حتى أصبحت تدرك أشياء لم تكن من قبل تدركها

فهو يحس وقع قطرات الماء على وجهه ويسمع أصواتها المتفرقة كلما أصابته ، ونظر إلى الغابة على ضفة النهر ، فرأى الأشجار شجرة شجرة ، ورأى أوراقها واهتزاز كل ورقة وحدها — ورأى الحشرات تمشي فوق هذه الأوراق ، رأى الجراد ، والفراس البديع الألوان ، والعنكبوت الرمادي يصل غزله من غصن إلى غصن ، ورأى الألوان المتواجبة في قطرات الندى وهي تتساقط على الملايين

الرماء الذائبي الصيت كلهم من ذوى العيون الرمادية
ومع ذلك فقد أخطأ هذا الرجل الرماية

وأصاب دواته معارضة فاركوهار فأدارته ،
فاذا هو يواجه ثمانية الذابة على ضفة النهر المقابلة
للحصن . فسمع من ورائه صوتاً قوياً منها مملاً
يخترق الهواء ، ثم أصاب الماء في عنف وخبث غطت
على ما عداه من الأصوات ، حتى صوت قطرات
الماء المدوية في أذنيه ، والرجل وإن لم يكن جندياً
فانه قد ألف المسكرات ، فهو يستطيع أن يفهم
دلالة هذه الأغنية القوية البطيئة المضخمة . لقد
كان الضابط على الشاطئ يشترك في أعمال الصياح
فهو في جود وقسوة ، وفي تاجين هادئ يحاول
أن يبعث الطائفة في نفوس الرجال ، فكان ينطق
بهذه الكلمات في وضوح وقسوة وفي فترات بترنة :
« تنبهوا . . توجهوا . . احموا السلاح . .

استعدوا . . صوبوا . . أطلقوا . . »

فغطس فاركوهار في الماء ، غطس إلى أبعاد
ما يستطيع أن يغطس . . فكان دوى الماء في
أذنيه كدوى شلال نياجرا . وعلى الرغم من ذلك
سمع صوت الطلقات النارية ، فلما صعد ثانية إلى
سطح الماء رأى قطعاً من المدن اللامع تهبط حوله
في ببطء وقد انبطحت في شكل عجيب ، وقد لمس
بعضها وجهه ويديه ، ثم استمرت في هبوطها إلى
القاع ، وسكنت إحداها بين يافته وعنقه ، وكانت
حارة كالجرة فانتزعها وألقى بها بعيداً

فلما طفا فوق سطح الماء متاهماً إلى استنشاق
الهواء ، أدرك أنه قضى فترة طويلة غاطساً ، فقد
سار مع التيار شوطاً بعيداً ، فأصبح أقرب إلى
السلامة ، وكان الجنود قد انتهوا من إعادة حشو

من أوراق الحشيش . وسمع ظنين البعوض الذي
يرقص فوق زوينة النهر ، كما سمع ضربات أجنحة
فارس البحر وهي تصيب سيقان عنكبوت الماء ،
مشبهة المقاذيف التي تلطم الماء على جانبي الزورق
لتدفعه إلى الأمام — وقد تألفت من جميع هذه
الأصوات نغمات موسيقية شديدة الوضوح ، ومررت
تحت نظره سمكة فسمع صوت تصادم جسمها مع
الماء وهي تشقه على الجانبين

وطفا الرجل على سطح الماء ناظراً إلى النهر
أسفل منه ، وفي لحظة أحس بالدنيا التي يقع عليها
بصره وهي تدور حوله في ببطء شديد ، وهو نفسه
قد أصبح مركز الدائرة ، ورأى الجسر ، والحصن
وقائد المائة ، وضابط الصف ، وجندي المراسلة ،
تلك المجموعة من الرجال التي أنفذت فيه حكم
الاعدام . لقد كانوا كلهم في نظره أشباحاً سوداء
تعترض المدى بينه وبين السماء الزرقاء فصاحوا
وحرخوا أطرافهم مشيرين إليه ، ولوح القائد بسدسه
ولكنه لم يطلق النار . وكان الآخرون غير مساحين
وكانت حركاتهم سخريّة فظيمة ، وكانت أجسامهم
كبيرة هائلة

وسمع فجأة صوت طلق ناري ، وعلى مسافة
بضع بوصات من رأسه صدم جسم جامد الماء صدمة
شديدة أثار رشاشه على وجهه ، وسمع صوت
طاق آخر ، ورأى أحد الحارسين يحمل ببندقيته على
كتفه وقد انبث من فوهتها دخان أزرق خفيف
ورأى الرجل الطافي فوق الماء عيني الرجل الواقف
على الجسر تحدقان في عينيه من خلال منظار البندقية
ولاحظ أن هاتين العينين رماديتان ، فذكر أنه قرأ
يوماً أن العيون الرمادية هي أحد العيون نظراً ، وأن

بنادقهم ، ورأى بريق الكباشات في ضوء الشمس وقد أخرجت من فوهات البنادق وارتفعت في الجو ثم وضعت في فتحاتها ؛ وأطلق الحارسان النار مرة أخرى دون انتظار أمر ضابطهما ، ولكن بلا طائل

رأى الرجل المطارد كل ذلك من وراء كتفه ، وكان في هذه اللحظة يسبح في عنف مع التيار ، ولم يكن رأسه أقل نشاطاً من ساعديه ورجليه ، فقد كان يفكر في سرعة البرق ، وقال لنفسه معقباً على ما رأى :

« إن يكرر الضابط هذه الغلطة مرة أخرى ، فمن السهل أن يتقى الانسان الطلقات الكثيرة إذا أطلقت معاً ، كما يتقى الطلقة الواحدة ، ولعله قد أصدر أمره للجنود أن يطلقوا أحراراً غير مقيدين بأمره ، فليكن الله في عونى فما أستطيع الافلات منهم جميعاً »

وعلى بعد ياردتين من مكانه سمع صوتاً مرعباً ردد الحصن صداه ، ثم أعقبه انفجار هائل أثار ماء النهر من قاعه ، وارتفعت في الجو صفحة من الماء ثم سقطت فوقه فأعمته وخنقته ؛ لقد اشترك المدفع في المطاردة ، وإذ خلص رأسه من الماء الذى غمره ، سمع صوت القنبلة الثانية تصغر في الهواء ، وبعد لحظة اصطدمت بأشجار الغابة بعيداً عنه ، وانفجرت بينها ، فقال في نفسه :

« إنهم إن فعلوا ذلك مرة أخرى ، وسيطلقون في المرة المقبلة قنبلة متفجرة ، فلأرتقب المدفع بنظري ، وسيدانى الدخان ، فالصوت يأتى متأخراً لأنه يتلكأ وراء القذيفة ، وهذا المدفع من النوع الجيد »

ونجاة رأى الرجل نفسه يهوى دائراً حول

نفسه كاللدوامة ، فالماء ، والشاطئان ، والغابة ، والجسر البعيد ، والحصن ، والرجال ؛ كل هؤلاء اختلط بعضهم ببعض ، وقامت بينه وبينهم سحابة كثيفة . ولم يكن يرى الأشياء إلا بألوانها فقط . فهناك خطوط من الألوان المختلفة مستديرة وأفقية هي كل ما يبدو لنظريه . لقد انغمر في إعصار ما لفته وأدار كل شيء في نظره ، فكاد يفقد الصواب وبعد لحظات وجد نفسه وقد طرحه التيار على الرمل فوق قاعدة الضفة اليسرى للنهر — الضفة الجنوبية في منحني يخفيه عن أنظار أعدائه . وكان وقوف حركته المفاجئ وجرح يده عند اصطدامها بالرمل ، هما الماملان اللذان أفاءه وردا إليه الصواب فبكى سروراً ، ودس يده وأصابعه في الرمل يقبض منه ويهيل على نفسه شاكرًا له بصوت عال فضله عليه ، فكانت تلك الرمال في نظره ذهباً وألماساً وياقوتاً وزمرداً ، وفي الجملة لم يكن يذكر شيئاً نفيساً الا شبه به ذلك الرمل العزيز

وكانت الأشجار فوق الشاطئ أشبه بنباتات عالية في بستان بدیع ، وقد لاحظ أنها منسقة تنسيقاً جميلاً بأمر المشاعر ، واستنشق لها عبيراً منمشكاً . ورأى من الفتحات بين سوقها ضوءاً وردياً خلاباً ، وكان الهواء يوقع على أغصانها نفثات أشبه بما روت الأساطير من أنغام قيثارة عولس ملك الريح ، ولم يشعر الرجل بالرغبة في إتمام هربه فقد أخذ يجال هذا الموضع الساحر وود أن يستقر فيه الى أن يقبضوا عليه من جديد

ولكن أفاه من هذا الحلم الجميل صغير الرصاص بين الأغصان فوق رأسه . فقد أطلق المدفع الفاشل عليه قنبلة الوداع . فهم واقفاً واندفع صاعداً الى الشاطئ المائل وغاب بين أشجار الغابة الكثيفة

جحظتا فلم يمد في مقدوره أن يغمضهما ، وجف لسانه من العطش فحاول أن يخفف من حرارته بابراره من بين أسنانه فيلقى به الهواء البارد . وما أسرع ما غطت الخفزة الطريق غير المسلوكة ببساط اين سميك ! فلم يمد يشعر بصلاية الأرض تحت قدميه !

لقد نام الرجل — على الرغم من تعب — وهو سار على قدميه ، ما في ذلك من شك . وإنه ليرى الآن منظراً جديداً — ولعله قد صحا من نوبة أصابته من هول ما لقي . إنه لواقف أمام باب بيته ، وكل شيء تقع عليه عيناه باق كما تركه ، وكل ما يرى وضاء جميل تحت شمس الصباح المشرقة ، فلا جدل في أنه قد سرى الليل كله . ولقد دفع الباب فانفتح ومشى في الممر الأبيض الواسع ، فابصر اهتزاز ملابس نسوية على بضع خطوات منه ، وهذه هي امرأته — في نضارتها وثباتها وجمالها — تهبط درج الشرفة لتستقبله . ولقد وقفت عند قاعدة السلم تنتظر اقباله عابها ، وقد غمرت وجهها ابتسامة تنبئ عن فرحة يمجز القلم عن وصفها ، وهي في موقفها هذا مثل للمظلة والسمو غير مقارن . آه ما أجملها ! لقد وثب إلى الامام مفتوح الساعدين ، وهو على وشك احتضانها إذا هو يشعر على مؤخر عنقه بضربة صاعقة ؛ وإذا ضوء أبيض يمشى الأبصار يكتنفه من كل ناحية مصحوبا بصورة كصوت المدفع المصمى — ثم إذا كل شيء مظلم ساكن !

لقد مات بيتون فاركوهار ، وهذه جثته مكسورة العنق ، تتأرجح في الهواء ، في نوذة ، من ناحية إلى ناحية ، تحت دعائم جسر أول كريك عبر النهر صدى

ومشى اليوم كله مهتديا بحركة الشمس . وخيل إليه أن الغابة تمتد إلى غير نهاية ، ولم يقع نظره في أية ناحية من نواحيها على طريق مسلوكة ، حتى ولا درب من دروب قطاع الأخشاب ، ولم يكن يعلم أنه يسكن في منطقة موحشة كهذه . ولقد كان لهذا الكشف في نفسه أثر عجيب !

ولم يأت المساء حتى كان التعب قد أخذ منه ، وكانت قدماء قد أنهكها المسير ، وقد أوشك أن يهلك من الجوع

ولكن التفكير في امرأته وأطفاله كان حافزاً له على مواصلة التقدم ، ووجد آخر الأمر طريقاً ، هي فيما يعلم الطريق التي توجه الاتجاه الصحيح . وكانت طريقاً واسعة مستقيمة أشبه بطرقات المدن ولكنها لم تكن مع ذلك مطروقة ، فلا الزارع تكتنفها ولا على مقربة منها يلوح أى أثر المساكن وحتى لم يسمع بها نباح كلب ينبئ عن وجود إنسان ، وكانت الأشجار الباسقة السوداء تؤلف جدارين مستقيمين على جانبيها ، يلتقيان على مدى النظر في نقطة في نهاية الأفق ، ونظر الرجل إلى السماء من خلال هذه الفرجة التي تشق الغابة ، فرأى مجموعة كبيرة من النجوم الذهبية المضيئة ، ولكن منظرها لم يكن مألوفاً له ، وكان نجمها عجيباً ، ولم يكن يشك في أن هذه النجوم قد رتبت في نظام معين يحمل في طياته سرّاً سيّ الدلالة ، وكانت الغابة من الجانبين تدوى بأصوات غريبة ، سمع بينها أكثر من مرة كلاماً بلغة لا يعرفها

وأحس فاركوهار الألم يشتد في عنقه فرفع يده يتحسس موضع الألم ، فوجد العنق قد غار غوراً مفزعا ، وكان على بيته من أنه محوط بدائرة سوداء من أثر الحبل الذي ضمطه ، وشعر كأن عينيه قد

الرسالة الاخيرة

بقتل رالف بلومر

ترجمة محمد عبد الفلاح محم



إماله وتوانيه . ولم يقتصر الأمر على ذلك بل راح
يقترح فيه وينال منه أمام زملائه في الجيش وإخوانه
وقد قال له فيما قال . . . « فورلاند . . . سوف
لا نسلم من ارتكاب الحماقات والأخطاء مادمت
حيًا . . إن حياتك مليئة بالأغلاط . مفعمة بالأخطاء
منذ أن أدركت معنى الحياة . وإنى أقول لك على
رؤوس الملائكة : إن دخولك في رحمة الله أو إلقاءك
في قرارة الجحيم لن يكون ألبتة سوى نتيجة
حتمية لاحدى هذه الغلطات . . . أيها الرجل !
إنك تعيش على الأخطاء وستموت من جرأتها »
وأطاق فورلاند العنان لأفكاره فخلق في
أجواء السنتين الماضيتين ، وهو يكتب عنوان
السكرولونيل على المظروف

ونحن المظروف جانباً ، ثم أمسك باحدى يديه
الرسالة التي كتبها منذ لحظة . بينما كانت يده
الأخرى تعبث في حركات عصبية مضطربة بمسدس
متوسط الحجم

وراحت يمينه تجرّان على كلمات الرسالة
« السكرولونيل أ . ه . با كستر

سيدي السكرولونيل

أرجو المذرة ياسيدي إذا وجدتكم أن هذا
الكتاب لا يمت إلى أعمال الجيش بصلة . وسوف
أكون — حينما يصلكم هذا — إما في جنة الخلد

أخذ الناس على أنفسهم أن يتجنبوا سبيل
الأخطاء ، ووضعوا نصب أعينهم أن يجيدوا عن
طريق الأغلاط ؛ ومع ذلك فكثير منهم من يهوى
في هاويتها ، ويتردى في حماها ؛ بل أصبحت
وكأنها من مستلزمات الحياة ، أو من ضروريات
البشر ، فقد ترى البعض يتدارك الخطأ قبل الوقوع
في نتائجه ، والآخر يقع فيه ويتخبط في أمراكه
وجرائره

بيد أن الأخطاء كثيراً ما ينجو بعضها بعضاً .
وهنا ترى أن القدر يشاء للبعض أن ينجى من وراء
ذلك ويربح . . . ويشاء للبعض الآخر أن يخسر من
جرائه بل ويهلك

أخذت يد « جرافيل فورلاند » ترتجف ارتجافاً
تحت المصباح الكهربائي الموضوع على المكتب ،
وهو يترع كأسه من شراب البراندي . وما كاد
يفرغ من ذلك حتى تقلصت يده على الكأس
وتتم : لقد انتهى كل شيء ، وعمما قريب
سأمسى في حالة أخرى ، آمن بها كل عدوان الدنيا
وغدرات الناس ، وهجران الزمن

ثم غيب يده في درج المكتب وأخرج
مظروفاً وضعه نصب عينيه

لقد طالما عاب عليه رئيسه السكرولونيل با كستر

وقد تقول : إنه كان في وسعك أن تقتصر
المبلغ غير أنى سوف لا أكون معك إبان اكتشاف
الحادث ، بل إن روحى هى الأخرى ستأتى أن
تحضرك ، لأنى لا أرضى أن تزجك . ولا أود أن
تهبجك

وإنى على يقين أن رحيلى الى العالم الآخر هو
خير سبيل تطرق ، وأفضل طريق تسلك ؛ ودعنى
أقول لك : وداعا يا سيدى الكولونيل !
الخلاص

جرافيل فورلاند
ملازم أول

وغيب الرسالة بعد ذلك في الظروف وختمه ...
ثم ألصق عليه أحد طوابع البريد . وكان هو يفعل
ذلك حليماً ساهماً ، مفكراً واجماً ، تتناوب وجهه
الحمرة والصفرة . يرى يديه ترتجف وأصابه ترتعش ..
ولم يكن ذلك لما يشعر من تأنيب في الضمير لسرقته ،
أو وخز في النفس لفعلة . بل كان ذلك لأنه
لا يستطيع درء الفضيحة عنه ، ولا يمكنه دفع العار
بعيداً منه ، ولأنه سيفقد عمله لما أتاه من المنكر ،
ولما اقترفه من الجرم

إن السبيل الوحيدة والطريق السهلة للمعبدة .
للخلاص من الفضيحة ، والاغتسال من العار اللذين
سيجرهما عليه اكتشاف الحادث . هى رصاصة
تخترق رأسه

وأبصر يده ترتجف وهو يشمل إحدى لفافات
التبغ ، فأيقن أن تظاهره بالثبات وادعاء الرزانة
والهدوء إنهما إلا قناعا شفافا يخفى وراءه ما يصطخب
في نفسه ويهيج من عوامل الرعب والفزع الهائلة . .
وقال بلهجة الواثق يحدث نفسه :

— سينتهى كل ذلك سريراً .. ما هى إلا ضغطة

أو في عذاب السمير . هناك حيث ينال المرء جزاءه
من جنس عمله . وقد فضلت هذه النهاية وآثرتها
لأنى عجزت عجزاً بيناً عن إعادة ما امتدت إليه يداى
الآثمتان من أموال الفرقة التى وكلت بحفظها .
ووسّدت إلى أمر حراستها والعناية بها . ولا عجب
إذا وصلك كتابى هذا قبل اكتشاف الحادث ،
فذلك ما عملت على أن يكون

وكان الأمل يشيع في نفسى حتى الآن ، لظنى
أنى لا بد واجد طريق الخلاص الذى ينثنى عن
ذلك المأزق الضيق الخائق . وكان مما يغمر نفسى
بالأمل وبفيض عليها بالرجاء ، أن يوم اكتشاف
الحادث ليس منا بقريب ، بل دونه أيام عديدة ،
وليال كثيرة تمكننى من إخفاء الأمر وتسديد
العجز وإكمال النقص

غير أن الأيام قد مرت ، والليالى قد تصرمت ،
وأصبح اليوم المروع الرهيب قاب قوسين أو أدنى
فلا يمر الليل حتى يفيض نوره ، ولا تمضى ساعات
إلا وبزغ فجره وتترجل شمسه . كل ذلك وأنا كما
كنت . . عاجز عن إخفاء الحادث ، أو إكمال
النقص الذى أحدثته يداى الملوئتان . . فليس أمامى
في هذه الحال غير السجن والعار . . سوى الخراب
والدمار . . وليس ذلك مما أسيفه أو أرضاه

أما عن المبلغ المحتلس فقد بلغت قيمته حتى الآن
ستمائة جنيه أو تزيد . فهل يدور بخلدك يا سيدى
أنه في وسعى إعادة الى مكانه من الخزانة دون أن
يدرى أحد ؟ قد يكون ذلك ممكناً من وجهة نظرك
ولكن المعجزات لا تحدث في عصرنا هذا يا سيدى
الكولونيل ، إنما الأخطاء لحسب هى التى يشيع
حدوثها ، أو إحداثها إن شئت

« سيدى : لقد أمرنى عمك جيمس . ب .
مويث أن أرسل إليك هذا الكتاب وبه ألف من
الجنهات ، وهى نتيجة الارتفاع المفاجئ لأهمهم
شركة آبار البترول ، التى كان لك حظ الاشتراك فيها
عند فجر حياتك »

وكانت الرسالة ماهرة بامضاء مسجل شهيد
وأحس فورلاند رغبة ملحّة فى أن يرفع عقيرته
بالصياح فرحاً وابتهاجاً ، ها هى ذى ألف من
الجنهات فى يده . . ملكه وحده ، لا ينازعه فيها
منازع . ولا يشاركه فيها شريك ، سيد يد ما اختلسه
فى صبيحة اليوم التالى قبل اكتشاف الأمر دون
أن يعلم أحد . . أية معجزة أية خارقة . . أى حظ
سميد ؟ لقد هزأ بالمعجزات وهامى ذى قد حدثت ،
وسخر من الخوارق وهامى ذى قد حلت

بيد أنه عبس قليلاً وهو ينظر الى المال ،
لماذا لم يرسله عمه صكاً على المصرف ؟ ولكنه عاد
وتذكر أن عمه يعقّت معاملة البنوك ، بل هو لا يثق
بها ولا يأمن لها ، إن عادته دوماً أن يدفع بالنقد
وتذكر قول عمه له ذات يوم : « اصغ الى
يا فورلاند ، إن شركتنا هذه وإن كانت لا تدر
علينا أى ربح الآن . فانها ستندو فى مدى زمن
— طال أمر قصر — من أعظم الشركات الدولية
فى العالم » إذن فهذه هى أولى الأرباح . . . إذن
ستترى عليه المبالغ بعد الآن ...

وفورلاند يعلم عن عمه أنه ما كان يرسل إليه
فلما واحداً ، إذا درى بموقفه الدقيق الحرج ، إنه
— أى عمه — يكره أن يرى أحد أفراد الأسرة
يتلوث بهذا العار ، ويتمرغ فى هذا الرجس . وتقطب
جبينه وهو يفكر . . حسناً . . سيميد المال
المسروق فتتبقى له بعدئذ أربع مائة جنيه أو ثقل ، وإن

واحدة لهذا الزناد وينتهى الأمر كله ! بل ويشق على
أى أحد أن يلحق بى أو ينالنى

وأخفى المسدس فى أحد أدراج المكتب ، ثم
تناول الرسالة ، وغادر البيت ليودعها صندوق
البريد ، أى حظ نعمس ذلك الذى يلزمه ؟ من له
يمن يمد له يد العون فيرد المال المسلوب قبل أن
يجردوا الخزانة ؟ أى دهر جائر ظلوم ، هذا الذى
يأبى مساعدته وتخليصه من وهدة العار التى تردى
فيها ، وهاوية الدرن الذى تمرغ فيه ؟
وتتم فورلاند يحدث نفسه :

— ها هو ذا آخر يوم من أيام حياتى ، لينقضى
تحتسمى وبصرى
وألقى الرسالة فى صندوق البريد ، ثم كر راجعاً
الى مثواه

وهناك أخرج المسدس وأدناه من رأسه المغموم ،
وزم شفطيه ، وأغمض عينيه ، وراحت أصبعه
تضغط على الزناد شيئاً فشيئاً . وكاد كل شيء ينتهى ،
لولا أنه سمع وقع أقدام تقترب منه أعقبه سـمـلـة
مكبوتة ودق خفيف على الباب

ودخل الخادم فألقى سيده منتحياً ناحية من
المكتب جالساً فى تراخ وخنول ، أما المسدس فقد
كان مخفياً وراء علبة السجائر
— لقد جاءت الآن فقط يا سيدى

فاه الخادم بهذه الجملة فى صوت خافت ولهجة
احترام وهو يمد يده الى سيده برسالة مسجلة . . .
فتناولها فورلاند بيد مرتجفة ثم أوماً إليه بالانصراف
وفض المظروف فى عجلة واضطراب فسقطت منه
الرسالة وهو يخرج حزمة من الأوراق المالية كانت فيه
والتقط الرسالة وأخذ يقرأ ما جاء فيها بعينين
جاحظتين

وهو يدلى إليهم بأنه أرسل بحض الخطأ والتسرع
خطاباً يود استرداده . ثم وصف لهم الظروف
فأجاب أحدهم المال في رقة مشوبة بحزم أن إعادة
أية رسالة إلى صاحبها ضرب من المستحيل وأفهمه
أن مصالحة البريد تعد نفسها مسئولة عن الرسائل
حتى تصل إلى المرسلة إليهم

فأخذ فورلاند يتهدد ويتوعد نارة . ويأين
ويتذلل نارة . وكان كل ذلك عبثاً . فلمح إليهم
بالرشوة ، ولوح لهم بالمال . وقد رفع البالغ حتى
أنهى يغرى المرء على مخالفة ضميره والاخلال
بواجبه ، فنظر إليه العامل نظرة شذراء مليئة بالتهكم
والازدراء . ثم أدار عنه وجهه واستغرق في عمله
نخرج فورلاند يلتمس الهواء البارد الرطب
عساه يلطف من هاته النار التي تضطرم بين أضامه
اضطراباً ولعله يخمد ذلك السعير الذي يحترق في
أحشائه احتداماً

وتراقصت على صفحات ذهنه كلمات الكولونيل
التي طالما صوبها إليه معرضاً به قادحاً فيه « إنك
أيها الرجل تعيش على الأخطاء وسوف تموت من
جرائها »

وفي مأواه غرق في مقعده وراح يشحن ذهنه
ويكد قريحته لعله يصل إلى حل لتلك المعضلة
الجديدة أو عساه يجد طريقاً للخلاص مما وقع فيه
من الخطأ مرة أخرى

وهبط الليل وانتشرت معالم السحماء الطاخية
على السكون . بل مضى كل الليلة إلا قليلاً واقترب
الفجر وكاد يبرز . وفورلاند لم يجد بمدحلاً
لذلك الاشكال الجديد ، وظل جالساً بأعين جاحظة
وجفون مفرجة ، وشعر مشعث وخدين أصفرين
غائرين

يكون هناك ما يشينه ويعيبه أمام عمه أو يحط من
قدره . بيد أنه أن كوحش حبيس ، وزأر كأسد
جريح ، حينما تذكر الخطاب الذي أرسله إلى
الكولونيل بعنوان يئنه في « إيست كوست » ...
لامرية أنه سيتسلمه في الصباح الباكر

وهب واقفاً في ذعر .. ما الذي بحق الشيطان
جعله يتسرع ويرسل الكتاب ؟ أما كان أولى به
أن يترتب إلى الصباح ؟ إنه لا يسمعه الآن أن يتلافى
الأمر أو يتفادى الكارثة . . ولا يمكنه أن يعيد
المال ، ويزعم أنها مزحة من مزحه ، أو مهزلة
أراد بها التسلية واستطلاع ما قد يحدث . فقد
يرتاب الكولونيل في الأمر . ويجرد الحزانة بعين
أخرى .. منتبهة متيقظة . ويميط اللثام عن التلاعب
الذي أحدثه بالمال منذ سنتين

وألقي فورلاند المسدس في درج المكتب .
 ووضع المال في حرز حرز . ثم تناول قبعته وغادر
مثواه إلى صندوق البريد

باللحظ الشمس . وبالأمل الخائب ! ! لقد
أفرغت الرسائل التي في الصندوق منذ عشر دقائق
فحسب

وترأت له أشباح السجن والفضيحة والعار .
فجن جنونه . إن مصيره الآن في يد رجل ، ولو أنه
طيب القلب إلا أنه لا يلين ولا يرحم في مثل تلك
الأمور . ثم إن عمه جيمس لا يتردد في ازدراءه
ولفظه والتبرء منه إذا بلغه خبر جريمة الشنماء وإثمه
الكبير الزرى

وأبصر مكتب البريد يجثم في نهاية الطريق
فهول إليه . وألفاهم هناك في عجلة من أمرهم وهم
يفرزون الرسائل

وارتدى فورلاند ثوب الهدوء وثبات الجنان

وغرق في مقعده ثم تمتم :

— السجن ١١١ . . .

واعتمد في جلسته بقنة ثم أردف :

— سيأتي البوليس بين لحظة وأخرى . . .

أجل ، سيأتي فوراً . ألم ينبئ الكولونيل بالسبب الذي حدا به الى الانسلاخ من هذا العالم والتخلص من الحياة ؟

وعادت وتراءت له أشباح السجن والمار والدمار

وضحك مرة أخرى ثم جلس على حافة المكتب

وأفرغ في جوفه كأسين مترعتين من الشراب

ثم امتدت يده تبحث عن المسدس

— كل ذلك من أجل غلطة . . . غلطة واحدة

ألا ليتني تربت قليلا قبل أن أبعث بهذه الرسالة اللعينة

ثم رفع السلاح الى رأسه المندى بالمرق البارد

في عزم وإصرار

وعلى عتبة الباب الخارجى راح الخادم يتفرد

ويديم النظر في رسالة سلمها إياه موزع البريد ،

وكانت تحمل — فضلاً عن عنوان الكولونيل

باكستر — ثلاثة أحرف تومى إلى أن اسم الراسل

مكتوباً على الوجه الآخر من المظروف

وزجر موزع البريد يقول :

— إنه لا يحمل اسم البلد المرسل إليه ، وقد

أعدناه لنقص العنوان . كثير من الناس يقع في

مثل هذه الغلطة . . . يا إلهي ! ما هذا ؟ !

« وهذا » هذه كانت طلقة نارية دوت في

سكون المنزل العميق أعقبها سقوط جسم على الأرض

محمد عبد الفتاح محمد

بالمساحة والناجم بينها

ستصل الرسالة الى الكولونيل بعد بضع

ساعات فيقرأها ويدرك كل شيء

ليس هناك سبيل لمنع ذلك ، على الرغم من

أن الخطاب لا يزال في مكتب البريد . يا الله !

كيف يمنع وصوله ؟ لقد أصبح ذلك مستحيلاً ،

لأن الكولونيل يتسلم رسائله يدأ بيد من موزع

البريد . وزأر فورلاندي يقول :

— لما ذا لم أتربث قليلاً ؟

واختفى فورلاندي المرح الطروب ، واحتل

مكانه فورلاندي آخر وحشى النظرات . كساه اليأس

ثوب الجنون ، وأورثه الهم والقلق حالة التوحش

ها هو ذا الخراب يتراءى له كوحش هائل

يريد ابتلاعه ، والدمار يهاجمه كجبار يميني

اختطافه ، ومع ذلك كان في وسعه أن يتفادى ذلك

لو أنه لم يخطئ ويرسل ذلك الخطاب

وملاً كأسه من الكونياك ورفعها الى فيه بيد

ترتعد في شدة وعنف ، حتى لقد تساقطت قطرات

من الشراب على أرض الغرفة

وانتبه أخيراً من ذهوله فرأى أن الصبح قد

تنفس وبزغ النهار وأضاء . فأخذ يضحك بينما

كانت أصابعه تمسك بالأوراق المالية عبيها بشيء

تافه لا خير فيه

إن الكولونيل ليرفض رفضاً باتاً أن يأخذ منه

المال ويودعه الخزانة دون أن يفتن الى الأمر أحد

يا للخراب ! يا للدمار ! لقد خرب ودمر . . .

كل ذلك من جراء غلطة واحدة . ألا ليتته تربث

الى الصباح ، أو الى أن أماء المال من عمه

ونظر الى الساعة فألفاها تشير الى التاسعة

سيستلم الكولونيل باكستر الرسالة حالاً . . .

إنه يقرأها الآن ، وربما يكون قد أخطر البوليس



- ١ -

كان يقول لسيدته ونظراته تنطق بالروعة والاعجاب :

« لاسوف يكون ابنك قاضياً يوماً من الأيام . »
وكانت الأيام لا تترى إلا وفي أحشائها أعاجيب
جدد ؛ فعندما بدأ الطفل يتعلم كيف ينقل خطاه
بعضها في إثر بعض ، رأى رتشاران فى ذلك عصرأ
جديداً من تاريخ البشر . حتى إذا ما جال لسانه فى
شده بلفظ : « بابا » لأبيه ، ولقب « ما - ما »
لأمه ، وكنية : « شارنا » لربيه ، استخف المرح
رتشاران ، فراح يأتى بالخبر إلى كل من بصرت
به عيناه

وأتى على ذلك حين من الدهر فأصبح على
رتشاران أن يظهر عبقريته بأساليب أخرى ؛ فقد
كان عليه أن يلعب دور حصان مثلاً ، يثب على
أقدامه ويمسك اللجام بين أسنانه . ثم يصارع حمله
الخفيف ، ويحتال ليرتقى على ظهره مهزوماً مغلوباً .
فان هو فشل فثم صخب ونحيب

وفى ذلك العهد حول أنوكول إلى مقاطعة على
ضفاف البادما . فابتاع لابنه - وهو فى الطريق إلى
كلكتا - عربة صغيرة ، كما اشترى له صداراً من
ساتان أصفر ، وقبعة ذات شرائط مذهبة ، وأساور
وخلاخيل من ذهب . فسكان من دأب رتشاران
- كلما خرج فى نزهة مع صاحبه - أن يخلعها
عليه جيماً فى زهو وكبرياء

كان رتشاران يباغ من العمر اثنى عشر عاماً
عندما لحق بخدمة سيده ؛ وإذا كان ينتعى وإياه إلى
جنس واحد فقد صار إليه أمر العناية بابنه الصغير
ودار الزمن دورته فانقل الطفل من بين ذراعى
رتشاران ليذهب إلى المدرسة ، ثم إلى الجامعة ، ثم
ليقبوا منصباً فى القضاء

واقعد انفرد رتشاران بخدمته طيلة ذلك العهد
حتى إذا ما تزوج شعر الرجل الأمين بأنه قد أصبح
مولى لسيدين بعد أن كان قابلاً لسيد واحد ، فقد
طار من بين يديه ما كان له من سلطان ، ثم استقر
على بساط السيد الجديد

غير أن رتشاران لم يابث أن صرفه عن كل
ذلك قادم ثان ، فقد أنجب أنوكول طفلاً ، وملك
رتشاران قياد الطفل بلطف عنايته ، وحسن رعايته
فكان يلعبه ويداعبه ، ويلاغيه وبناغيه ، ويلصق
خده بخده ، ثم يعمده عنه وقد أضامت صفحته
ابتسامة لطيفة

ومر عان ما استطاع الطفل أن يحب وأن يجوز
باب المنزل ؛ وعند ما كان رتشاران يذهب لياتى به ،
كان يجالجل بضحكات غابثة ، فيأخذ العجب من
رتشاران مأخذه ، ويدهن لسا يديه الطفل عند
مطاردته من تدبير بارع ، وحكم صائب . حتى لقد

فأشار بيده إلى الاتجاه المضاد وهو يقول حافظاً مستثيراً : « انظر ! انظر ! أيها الطفل ! انظر هذا الطائر .. » ثم دفع بالعربة بعيداً عن الشجرة وهو يدمدم بأصوات لا معنى لها

ولكن ليس من اليسير أن يخدع طفلٌ قديم له أن يتربع على أريكته الحكم ، ويتبوأ منصة القضاء ! ثم إنه لم ير شيئاً خليقاً بأن يلقى إليه باله ، أو يوجه أنظاره ؛ وإيهامه بوجود طائر خيالي أمر لم يعد في الامكان

وتشبث السيد الصغير برأيه ، فرضخ له رتشاران ، وقال أخيراً : « حسناً أيها الطفل ، إجلس أنت في عربتك قرير العين ، وسوف أذهب فآتيك بما شئت من زهر جميل .. ولكن حذار أن تقرب الماء .. »

وما كاد رتشاران يذهب حتى هرع الطفل صوب الماء الذي حرم عليه ، كان النهر يمدو ويتدافع صاخباً مزبداً ، فكان الموجات المصبية أطفال آبهة من رتشاران ، مدوية بضحكات ألف طفل سوياء .. فتجوب فؤاد الصغير بالأعيان ، فأنسل من عربته يمدو شطر المجرى ؛ وبينما هو في ذلك إذ بصر بعصا صغيرة ، فأنحنى بها على النهر وكأنه بصطاد ، ولكن أرواح البحر كانت تدعوه إليها ، وتناديه أن تعال نلعب ونمزح في مرآتنا الواسع

وكان رتشاران قد قطف ملء قبضته زهراً ، وعاد وهو يحمله في طرف ثوبه ، والسرور علاً عطفيه ويشيع في أسارير وجهه ؛ ولكنه عندما باع مكان العربة لم يجد أحداً ، فجال بطرفه فيما حوله ، فلم يجد أحداً ، فجمع إلى العربة بصره ، فلم يجد أحداً ، فتجمد الدم في عروقه ، ودارت الدنيا من حوله ، وكأنه يسبح في ضباب كثيف ، وانبعثت

ثم أقبل فصل الأمطار فأنشأت السماء تمطر الأرض بشآبيب مزن هطال . فكان النهر الجائع أفعوان هائل يزدرد كل ما يصادفه من المنازل والقري والحقول ، ويغمر بفيض مياحه الحشائش الطويلة المشرفة على الساحل الرمل . وبين الفينة والفينة كان يدوى في الفضاء صوت ارتطام المياه بالشاطئ ، وكنت تستطيع أن تسمع هدير التيار من بعد قصي ، فإذا اقتربت من النهر هالتك تلك المقادير العظيمة من الزيد يدفعها التيار دفماً عنيفاً وغيض ماء السماء بعد ظهر يوم من الأيام فلاح الطقس رائقاً دفيئاً وإن جللت الغيوم السماء . ولم يرض السيد الصغير أن يقبض في عقر داره في مثل ذلك اليوم الجميل ، فاستقل عربته الصغيرة ، وراح رتشاران يحرقه في توان وتخاذل ، حتى إذا ما شارف مزارع الأرض الممتدة على شاطئ النهر لم يجد أحداً ، فلا في الحقول أصحابها ولا في النهر قواربه . وإنما انشقت السحب وراء العباب عن شمس دامية مودعة ، كأنها سفينة يحترق في خضم زخار

ووسط ذلك السكون العميق أشار الطفل بأصبعه إلى الأمام على حين غرة ، ثم صاح : « شارنا ! » فعلى مقربة منهما وسط ردغة مستوحلة كانت تقوم شجرة باسمة من أشجار «الكادامبا» وكان السيد الطفل يرمقها بنظرات ملؤها الطمع والتشهي ، ففهم رتشاران مراده ، إذ كان قد اتخذ له من أزهارها شبه عربة صغيرة منذ عهد قريب . وما كان أشد سرور الطفل وهو يجرها هنا وهناك ! لقد شملته اليوم بطوله حتى عن أن يلجم صاحبها ، فارتفع من حصان إلى سائس !

وما كان رتشاران يتواق إلى أن يخوض في الطين حتى ركبتيه ليحصل لسيدته على الزهر ،

لقد كان الطفل يزين بحلى من ذهب ... »

— ٢ —

وارتد رتشاران إلى قريته محزوناً كاسف البال ، فلم يك قد نسل حتى ذلك الوقت ، ولم يبق له أمل فى نسل ... إلا أن زوجه أنجبت طفلاً قبل أن ينسأخ على قدميه عام ، ثم قضت تحبها ، وخلفته فريسة حنق عظيم ، يغيظه مرأى طفله ، وتعاون الظنون أنه ما جاء إلا ليفصب السيد الصغير مكانته ، ثم أليس من البنى أن يقر بطفله عيناً ، وسادته يتقبلون على القناد وجداً على أبهم وألماً ؟ ولولا عمة أرملة وقفت نفسها على العناية بالطفل لما عاش إلا قليلاً . ولكن تحولاً طراً على عقل رتشاران ثم سكن فيه شيئاً فشيئاً . لقد راعه أن بدأ الطفل يحب بدوره هنا وهناك ، ويجوز باب المنزل وقد ارتسمت على وجهه علامت الخبث والعبث ؛ وكان هو الآخر بارع الحيلة زكى الفؤاد إن شاء هروياً ، بل لقد كان بنبرات صوته ، ورنين ضحكته ، وعو بل بكائه ، ولطيف إيمائه ، يشبه السيد الصغير حذوك القذة بالقذة ؛ حتى لقد كان يخيل لرتشاران وهو يصيح أن سيده الصغير يناديه من وادى الموت السحيق ، ويصرخ باكياً لفقد « شارنا »

وسرعان ما بدأ الطفل يلوك الكلام ، فعرف كيف ينادى « با — با » و « ما — ما » فى لُغاه طفل رضيع ، وانباج السر أمام عيني رتشاران إذ راح السيد الصغير يناديه « شارنا » بعد أن بعث فى يده تارة أخرى

ولم يعد يخامر رتشاران أدنى شك فى صحة هذا الزعم ، فقد رأى الطفل نور الحياة بعد وفاة السيد بقليل ، وأبوه على يأس من أن يحيى الخاض زوجه العاقر ، ثم إن القادم الجديد كان يعرف كيف ينادى « با — با » و « ما — ما » ، وكانت

من أحناء صدره الكسير صرخة بترأ : « مولاي ... مولاي ... مولاي الصغير ... ! » ولكن أحداً لم يناده : شارنا ، ولا ضحك من خلفه طفل عابث ، ولا جاوبته صبيحة صرح من قلب صغير ، ما طرق أذنيه إلا هدير البحر يملأ صاخباً من مجراً كما كان ، كأنه لا يسمع مما حدث شيئاً ، أو كأنه ليس خليقاً أن يلقى السمع إلى ذلك الحادث الانسانى العارض ، إلى موت طفل ...

ومضى الليل لا يزيد قلب السيدة إلا خوفاً واضطراباً ، فبعثت بالرجال يجوبون الحى باحثين ، فانطلقوا والمشاغل فى أيديهم حتى شارفوا ضفاف البادما ، حيث ألفوا رتشاران يحتاج المزارع كأنه صرصر عاتية ، وبصيح صبيحة اليأس : مولاي ... مولاي ... مولاي الصغير ... !

وعند ما عادوا به إلى المنزل خر تحت قدمى سيده صمماً ؛ فراحوا يهزونه ويسائلونه عن مكان الطفل ، فلا يظفرون منه بشيء

وأيقن الجميع أن البادما قد ابتلع الطفل ، وإن خاسرهم شك ضعيف فيما حدث ، فقد شاهد الناس ظهر ذلك اليوم عصبة من النور تضرب فى أطراف القرية ؛ وهيات اللأم صرارة الشكل ووقدة الحزن أن تشاران ربما كان السارق بعينه ، فانتبهت به مكاناً بعيداً ، وراحت تبتهل إليه فى ضراعة وتوسل : « رتشاران ! أردد إلى طفلى ... أوام ! أردد إلى طفلى ... خذ ماشئت من مال وعتاد ، واردد إلى طفلى ... ! »

فكان رتشاران لا يجيب إلا بالضرب على جبينه ، حتى أمسرت سيده أن يفادر المنزل غير مأجور وأراد أنوكول أن يحاج زوجته ليخلصها من من شكوكها ؛ سألها : « ولماذا بالله يقترب مثل هذا الجرم ؟ » فما أجابه إلا بقولها : « من يدري !

تلوح عليه مخايل قاض فاضل وحكم عادل

وانثالت على رتشاران ذكرى ما ألصقته به
سبيدته من تهم ، فطفق يتأجى نفسه في ذهول :
« واهاً لقلب الأم ما كان كذوباً ! إنما أوحى إليها
أنى كنت سارق طفلها . . » وما كاد التفكير
يؤدى به إلى هذه النتيجة حتى غشيه الندم على
ما كان من إهماله ، فأبحه بروحه وجسمه إلى الطفل
الصغير ، ومحضه خالص حبه وولائه ، وطفق يتولاه
كأنه ابن سرى . فابتاع له عربة صغيرة ، وصداراً
من ساتان أصفر ، وقبعة منمنمة بالذهب ؛ ثم صهر
حلى امرأته ، وساعه أساور وخلاخيل . وأبى على
الطامل أن يلعب مع أطفال جبرته ، فأنفرد برفقته
ليلاً ونهاراً . حتى إذا ما كبر ونما وعد في الغلمان
كان الصبي المدلل الأنيق ، يسخر منه أهل القرية
وينادونه « بياصاحب السعادة » ! بينما كان آباؤهم
بمعجبون لشغف رتشاران بالطفل شغفاً بالغ حد
الوله والجنون

ثم شارف الطفل سن الدرس فباع رتشاران
ما كان له من عقار قليل ، ثم احتمل إلى كالكتا
حيث اشتغل بالخدمة بعد لأى وعناء ، ثم بعث
بابنه إلى المدرسة لايألو جهداً في سبيل تثقيفه
وإسماده ، وإن قنع هو بحفنة من الأرز يقيم بها
صابه ، هامساً بيده وبين نفسه : « آه يامولاي
الصغير ! يا سيدى العزيز ، لقد أحبيتنى فعدت إلى
فى بيتى ! تالله إن بئالك منى سهو ولا تقصير »

ومضت على ذلك أعوام اثنا عشر ، فاذا الفتى
قد أجاد القراءة والكتابة ، واستوى على عوده
وضاحاً قوياً ؛ معنياً بظاهر وسامته ، معتزلاً بشعره
يفرقه ويساويه ، ميالاً إلى التأنق والتباهى ، مبسوط
الكف لا يقيم المال وزناً . . . حتى لقد أنف أن
يقر بأبوة رتشاران له ، لأنه وإن أحبه كآب ، فقد

خدمه كتابع . . وزاد الطين بلة أن رتشاران
أضمر أبوته لفايلنا ، ولم يكاشف بذلك أحداً
ولقد كانت أساليب رتشاران الريفية موضع
سخيرية الطلاب من قاطنى الفندق ، بل لقد كان
فايلنا يشار كهم عبثهم ما غاب أبوه . وعلى الرغم من
ذلك فقد كانوا كلهم يحبون الرجل الطيب المعجوز ،
وكان ابنه يحبه أيضاً ، ولكن فى ترفع وكبرياء
وتقدم رتشاران العمر وأوقرتة السنون ، فراح
مخدومه بعدد أخطائه ، ويحصى عليه سقطاته ،
ويدرك عجزه عن القيام بعمل لم يكن له أهلاً . . .
فلقد كان يطوى نفسه على جوع ونحصة ، ليوفر
لابنه أسباب السرور والنعيم . حتى لقد هزل
جسمه ، وشحب لونه ، وآده عمله ، وضغفت
ذاكرته ، وتبدل ذهنه . ولكن سبيده لم يعذره ،
إذ كان يريد العمل تاماً كاملاً . . ثم إن ما أتى به
رتشاران من ثمن عقار كان قد نفذ ، وبقي الفتى
متدسراً بطلب الملابس ، ويريد النقود

— ٣ —

وأخيراً صمم رتشاران على أمر . فأعطى فايلنا
قدراً من المال ، وقال له : « إنى ذاهب إلى البلد
فى عمل ، وسوف أعود وشيكاً » . وسرعان ما قصد
إلى « باراست » حيث كان أوكول قاضياً ، وكانت
زوجه ما برحت موجهة القلب مكروية الفؤاد ،
وقد ران على قلبها الحزن أن لم تكد من بعد
ققيدها ولداً

وذات يوم كان أوكول يقبل من عناء عمل
شاق ، بينما كانت زوجته تدفع الثمن القادح إلى
دجال جوال ، لقاء عقار يشفى من المقم ؛ فسمع
فى رحبة الدار داع يدعو بالتجية فبرز أوكول يرى
من القادم ، فأن عرف فيه رتشاران حتى صفا
إليه فؤاده . وطفق يسأله عن حاله ، ثم وعد بأن

منى واشتعل الرأس شيبا ، ولم يبق في إلا ذماء
يخبو رويداً »

وقالت السيدة : « ذره يبق في ذلك سرور
لطفلى . لقد غفرت له ما تقدم من ذنبه . . . »
ولكن ضمير القاضى أبى على رتشاران أن يبقيه ،
فقال : « كلا . . . فما إلى المغفرة من سبيل . . . »
وانبطح رتشاران على الأرض يضم قدمى
أنوكول صائحاً : « ذرنى باقيا يا مولاي فما أتيت
شيئاً فرياً ؛ إنما هى إرادة الله »

وما زاد ذلك أنوكول إلا ثورة خاطر ، ففقد
ثقل عليه أن يهتم القدر رتشاران ، فقال : « كلا .
فما عدت أستطيع أن أعفو أو أطمئن إليك مرة
أخرى ، بعد إذ خنت وخفرت ذماي »

وهب رتشاران فاستوى واقفاً ثم قال : « إنى
ما افترفت إنما ولا جنيت ذنباً . . . »
فسأله أنوكول : « وإذن فمن فعل ؟ »
وأجاب رتشاران : « إنه القدر »

ولكن هذا لم يكن عذراً كافياً فى عين رجل
مثقف ، فظل أنوكول عنيداً صلباً أفؤاد

ولما فهم قائلنا أنه ليس ابن رتشاران بل سليل
قاض ترى ، غضب وثار أول الأمر ، ظناً منه أنه
خدع فى أصله ومنبته ؛ ثم نهته من غربه أن رأى
رتشاران حزناً . فقال لأبيه : « سامحه يا أبتاه !
ودعه يعيش معنا أو فاجر عليه كل شهر نفقة »

ولم يجر رتشاران بمس ذلك جواباً بل طفق
يديم إلى وجه ابنه نظرة وداع ؛ ثم صدع لشيئة
سأده ، فخرج وقد اعتركت فى باطنه أشباح شتى
واكتهل الشهر فصدق أنوكول وعده ، وبث
بقدر من المال إلى رتشاران فى قريته ، فرد إليه
لأنه لم يكن بين أهل القرية من يدعى رتشاران
شكرى محمد عباد

يميده إلى خدمته مرة أخرى . فابتسم رتشاران
ابتسامة شاحبة ثم قال : « أريد أن أقدم فروض
الطاعة لمولاتى . . . » فذهب به إلى داخل المنزل ،
ولكن سيده لم تستقبله بمثل حفاوة سيده فطوى
رتشاران عن ذلك كشحاً ، وضم يديه وهو
يقول : « تالله ما استلب البادما طفلك ، بل هى
جرىمتى . . . » فصاح أنوكول : « الله أكبر !
ماذا ؟ وأين هو ؟ . . . » فأجاب رتشاران : « إنه
مى ، وسوف آتيك به بعد غد »

وكان اليوم الأحد إذ القضاء معطل ، فأنشأ
الزوجان يرقبان الطريق متربصين ، ينتظران على
الجر قدوم رتشاران ؛ حتى هات طلعت فى الساعة
العاشرة ، ممسكا بيمينه قائلنا

وأخذت الزوجة السلام فى حجرها دون أن
تنبس بكلمة ، ثم استخفها المرح ففى ضاحكة ياكية
تدله وتلاعبه ، وتقبله فى شعره وجبينه ، وتحدق
فى محياه بأعين جائعة ولهى . كان الفتى قسماً وسياً ،
فى كساء غطريف ، وثياب غرنيق . فطفح فؤاد
أنوكول بالبشر والحب ، ولكنه راح يسأل سؤال
كل قاضٍ : « أما لديك من بينة أو برهان ؟ »
فأجاب رتشاران : « وكيف أستطيع على ما قلت
سوق دلائل ؟ إنما هو الله يسمع ويرى ، ويعلم أنى
سارق طفلك ، أنا وحدى لا سوى ! »

ولما رأى أنوكول تعلق زوجته بالطفل وضع
له عبث السؤال ، فرأى الحكمة فى أن يصدق
ويؤمن ؛ فمن أين لرجل عجوز مثل رتشاران بهذا
الفتى ؟ ولم يكذبه خادمه الأمين ويخذه على غير
طائل ؟ ولكنه قال فى حزم وصرامة : « رتشاران !
لم يعد لك فى هذا البيت مقام »

وأجاب رتشاران فى صوت مرتجف ، وهو
يضم يديه : « وأنسى أذهب يا مولاي ؟ لقد وهن العظم

النقد الذهبى

للكاتب الفرنسى فرنسوا كوبيه
ترجمة محمدا العزاوى



ولكن نفسه نازعته للتطاع فألقى السمع ، فباغ صماخيه رنين الذهب ووسوسة النقود ، بغيبان بين ضحكة نصر مقتضبة ، وحشرجة بأس مغير ، وزفرة مغلوب ختله الحظ فهو حسير كظيم ، وصُعداء غالب راض حظه بعد أن احتبس فلت بواديه شآبيب واعدة ورذت ساحته مزنة هاطلة

وذهل عن ذلك بأسره : لقد أقوى حبيبه بعد أن كان عامراً بمال يهر العين ويخطف البحر . وخوى وفاضه فما فيه لسد الرق وإقامة الأودى . آماله ولت سراعا فهي غزلان وجلى ، تخاف فتنأى في دل حبيب الى النفس ، شديد عليها سرير . كان الناظر إليه يخاله ناعماً وما هو بنائم . ولكنه كان في سكرة بسبب أمره ، وغشية لا يملأها إلا خلو الوفاض . لقد قلب أمره بين يديه فوجد المجتمع ينبذه - وهو الحبيب ذو الجاه والنشب - فهو طريد ، والعالم يجله - وهو النسيب ذو الأصل والنسب - فهو شريد ، والأمل يهجره - وهو الطموح ذو المجد - فهو يائس ، والصديق ينكره - وهو الكريم ذو الفضل - فهو وحيد . . . لقد قلب أمره بين يديه فوجد صديقه في مقعد احتضنه وعطف عليه في محنته وضرائه - كما احتضنه المداهنون من قبل في نعمته ومرايه -

حينما بصر « لوسيان دى هيم » بأخر نقد من ذى المائة فرنك بجرفه عصا الكريم تخاذل وانفض عن نضد الرد . وما كان له أن يجلس الى غريمه بعد أن فقد - منذ قليل - ماله الذى سهر على جمعه ليتأهب به لحرب ضروس . وما كان له أن يفعل وقد دارت به الأرض دواراً قعد به عن الوقوف ، فتخاذل ، فارتدى ، فاحتضنه مقعد مريح . ثم انطوى على نفسه وصوب للجمع بصراً غشيه سحب الأحزان فهو زائع العين مبهوم ، لقد رأى جمعا اجتمع لانهم في هوة أذى ، وموطن فساد ، حيث أفنى شبابا نضر قليلا وذوى . . لقد رأى وجوها مسفرة ، ضاحكة مستبشرة ، يزيد انبساطها حظ مؤات وريح كثير . وتلك أخرى تنكاد تميز من الفيظ فهي مصفارة ، منقبضة الأسارير ، علا الجبين منها ماء منهمر ، تسيل على الحدود فاستوى على الموارض والأذقان ، فاختلط بدمع الخنق يترى من عبون جحظت خوفاً وطامعاً .. لقد رأى مصاييح شدت للسماء تضيئ ثوباً وضياء فوق كهف خبيث . قلب وجهه بينها فما بصر إلا بنور ضئيل ينفذ الى ناظره خلال حجب الغم القاشية وسحب الحزن المقيم . . . لقد استرد بصره وتراجع قليلاً فانطوى على نفسه وغاب في أحضان مقعده الصديق

وأملأهم وفاذاً وجيباً ، وأجشعهم عيناً ونفساً ؛ وهو برغم ذلك شحيح بخيل : لا أثر للنعمة يبدو عليه ، فهو يلبس سترة من قماش « الضامة » لا يكاد ينفقها ويغفل عنها ، وهو بهما قرير العين جذلان

تقدم درونسكى وتتم ، وشاعت كلمات المهمة في أرجاء الحية شهباء : هلا أقرضتنى خمساً من الفرنكات ياسيدى ؟ أنظر . . . إني لم أبرح الندى لخسة أيام خلون ؛ وما كان لي حتى أربح أو أجدي مع عددي — السابع عشر — أمراً ، فهو لهاتيك الخمسة لا يزيد ولا ينقص . لك أن تضحك مني كما يتراءى لك ويحلو ، بل لك أكثر من ذلك : لك أن تقطع يدي إذا لم يرق السابع عشر سلم الزيادة والتضخم قبل أن تدق الساعة أولى دقائقها الاثنتي عشرة وما كان للوسيان إلا أن يهز كتفيه ، وقد فسل . إذ أتى له بما يقيم الأود بله ما يرجو المجوز ؟ . . . وأزاح الرجل من طريقه يسيراً واجفة دون أن ينطق بكلمة ؛ ودنا من الباب بقدم واهية بقيمها التجلد ، ويثبتها التحامل ، وأداف إلى اللهو الكبير حيث ارتدى سترته وأحكم قيمته فوق رأسه المحموم ، وهبط الدرج بدمع واكف ، وقاب حزين . .

لقد مكث لوسيان بالندى أربع ساعات طوال ؛ كان الثلج أثناءها يساقط على باريس فيتوج هام البيوت ، ويهب الشوارع بسطام من شغوف جميل . . وبدأ لوسيان يسير الهويني ، والسكون منعقد فوق رأسه متواصل ، والنجوم ينبثق منها نور خافق متضائل ، والبساط أبيض شف يمتد أمامه دون حائل ؛ ففرح وابتهج لتلك الطبيعة تزين لأنه تاب

فهو عطوف أمين . . . في موت منج من يؤس ومسكنة لا يرضى بهما نبلة ومجده ، وذل ومسغبة بأباهما كرم نفسه وشرف محتده . . . في بندقة أبيه — القائد دى هيم — تحمل إليه ذاك الموت الحبيب كحاحات الملأ في « زآتشا » الفاصلة موتاً أحمر على يد والده المجيد . . .

ألهب التفكير رأسه ، وسمر الهم قلبه ، وكوى الحزن فؤاده ، ثم تداركه السكرى رحمة منه ، فأغنى طرفه فهو نائم سعيد . ولما أن أفاق من غفوته بعد نصف ساعة أو يزيد قليلاً وجد فيه لزجاً من لعاب سال أثناء نومه . فأزاله وتطلى . وكان بحاجة لهواء منعش جديد ينتشل جسمه من وهدة الكسل وذهنه من بلادة ونمخود . فقام في تراخ وكسل . وألقى الساعة لدى الباب تشير — في هدوء — إلى الثانية عشرة إلا ربماً . وسار ماداً يديه يريد الباب . وحينذاك أدرك أن ليلته ليلة الميلاد ، فوجم وجوماً . ذلك لأنه تذكر الماضي بمره وجلاله ، وشعر به يشرف عليه خلال بياض الأيام وسواد الليالي ، يؤنب وبمائب ، ثم يهوى هادراً متوعداً . تذكر حين الطفولة وما أصاب من عنز كثير . وتمائم له ليالى الميلاد شامته ساخرة . وادكر كيف كان يضع حذاءه الجديد على أنفية الموقد بدار أبيه ليلاً ليلبسه في الصباح الجميل . . . تذكر كيف سحب ذيل النعوى ، وخطر في شغوف الحرير ، وأين هو من تلك النعوى وذلك الحرير . . . إنه لصدى تلك الأيام الخوالى وإنه لطريد عنز تليد ؛ وتقدم لوسيان يريد الباب حين اعترض سبيله شيخ مجوز ؛ لقد كان « درونسكى » أحد أقطاب ذاك اللهو الأنيم ، وأشد جبابرته بأساً وشرأ ،

ولكنه ردها حزينا محسورا . فقد اذكر أن لا مال معه . ولكن غريزة دفعته فأتى ما أتى من الأمر دون وعى وتدبير . وتقدم من الفتاة يريد حماها وإنزالها بيته حيث الدفء والفرش الوثير . ولكن ما كاد بفعل حتى بهر بصره شيء لامع يقبع في حذاءها المخلوع

ودنا بوجه — تشيع فيه الرغبة والرجاء — ليستبين ذلك الشيء ، وما كان إلا نقدا ذهبيا من ذى العشرين فرنكا

لقد وهبه الفتاة كريم . وما من شك أن الحسن سيدة مرت فمنحتها القدر العظيم لتقربه عينها إذا ما صحت من غفوتها ، وتطيب به نفسا إذا أُنحت فتكف عن السؤال ، ويزيد إيمانها بالخير يهيم ليلة الميلاد ! عشرون فرنكا ! ياله من قدر ! أو ليس هو الزعيم بسمادة بضعة أيام ؟! أو ليس هو بشير الراحة لتلك الطفلة اللاغبة !! أو ليس الغنى بذاته لمار الحظ ، والنعيم بعينه للساغب المكدود ؟! وإنه لمار الحظ ، وإنه لساغب مكدود !

لقد كاد يوقظ الفتاة لولا أن ذكر قول ورونسكى المعجوز :

— ... لم أبرح الندى لحمة خلون ... بل لك أن تقطع يدى إذا لم يرق السابع عشر سلم الزيادة والتضخم قبل أن تدق الساعة أولى دقائقها الاثنى عشرة . . .

يا لله ! إن هناك فرصة لأمل ! !

وقفز ذلك الشاب — سليل الأصل الكريم والبيت النبيل ، ذو القلب الحرى والمجد الأثيل — فقد اعتزم في نفسه أمرا ... إنه لم يبالغ الثلاثة والعشرين ربيعا فهو شجاع جريء . وهو إذا اعتزم

وأصلح من إملاق وفاقة ! وفرح وابتهج لأنه شعر بمعبء ثقیل — كان جائعا في جيبه — رحل فأراحه ! وفرح أخيرا وابتهج لتلك الراحة تفتح ذراعين مرحبين لتلقفه ثم تغيبه في غيابة الموت ، وبرد الراحة . . . راحة هي به أولى وأحق ؛ وأولى بحلبها بندقة أبيه المجيد . . . جعل لوسيان يهيم لغير قصد يرومه أو مكان ينزع إليه . فأنشأ بضرب في شعاب باريس الواسعة . غير أنه لم يسر طويلا حتى استوقفه أمر أليم نهبه من غشية وأفاقه من غفلة

لقد بصر بفتاة أضناها كد اليوم ونصب السؤال ، مكدودة حيرى فطاف بها الكرى ، وران على قلبها الأمان وحلته السكينة ، فتطلق من همه الأليم وعذابه الواصب . واستكانت إلى الطريق اللاحب واستراحت إليه ، فافترشت طواره ، واتخذت من الجليد دئارا . . . كانت جميلة ساحرة رغم ما ترتديه من أطمار وأسماط ؛ نظيفة ناعمة رغم نومها في الطريق ، بريئة طاهرة فهي بعد طفلة لما تبلغ السابعة

كانت تتوسد ذراعها الأبيض وقد انحسرت عنه أسماؤها فهو عار جميل وكان وجهها المشرق الوضى يطالعك فيبهرك منه جمالها جمع ووديع . أما رأسها فقد مال نحو الأرض في سكينة ودعة . وكان جبينها المريض تكسوه طرة غدافية اللون تدلت من مفرقتها واستراحت على أرنية أنفها الوسيم . وكانت ذراعها الأخرى منبسطة على الجليد كأنما علقبت السؤال وأغرمت به ، فهي تنزع إليه أبدا وترجوه دائما ، وكان قدماها منغمورين في الجليد ، وأخذ حذاءها الصغير في إهمال عجيب

وأراد لوسيان أن يهبها شيئا فدیده لجيبه ،

أول الليل بعد اثنتي عشرة مرة . ثم فكر أن يسترد أملاك أبيه التي أضاعها في بضعة أعوام ، فكان يملئ القدر حتى بلغ — مرة — الثلاثمائة من النقود الذهبية ذات العشرين فرنكا . لقد أرعت جيوبه بالمال ولما ينقطع فيض النضار فهو يضعه في جيوب صدره وسراويله ، ويضعه في منديلته وصندوق سيجاره ، وهو يضعه أخيرا فيما يصلح لحمل النضار ! كان يامب دائما فيرجح أبدا . فهو يعمثر ويبدد غير عاين ولا مكترث ، وهو يتعسف ويجور فيهظ المغلوبين ويرهقهم ، وهو يرى كل ما تستطيع أن تحبثه يداه المجدودتان على الخواص في ثقة واطمئنان ! .

لقد كان مجدودا سعيدا دون شك ، ومن أدري منه بمجد وسعد ! نعم ! ولكن خيال تلك الفتاة البائسة كان يلقى باله ، ويحز قلبه ، ويعكر سعادته ، فهو ما يفتأ يذكرها ، وهي ما تنفك تتشبه أمامه — إنها تنام هناك فهي لم تزل وسنى غارقة في سباتها الجميل ، ساحرة ناعمة كما تركتها منذ حين ، وإني لأقسم أن إن تحين الواحدة إلا وتكون الفتاة بصحبتى في طريقى الى منزلى . فلأترانا من نفسى منزلة طيبة . ولأتران لها عن سرى لثام عليه ولأنه ههنا كابتة ، وأرعاها كأخت ، سوف أمهرها مهرأ كبيرا . سوف أحبها ، ثم سوف أحبها !

ولكن اقتربت الساعة واصطرع الأمل ، فالخط يأتبه بنيت منه ، وهو لم يشيع بعد أو يرتوى فما ضر لو صبر واصطبرت معه الفتاة ، إن ربه من ساعة ليس بكثير . ومضى ربع ثم ثان وثالث ، وهو لا يزال يعمثر ماله فيأتى له بريح وفيه ، ولا يزال يتعسف ويجور فيهظ ويرهق ، ولا يزال ينثر المال

أمرأ لا يقمده به جبن ولا يموزه مضاء . إلا أنه حين فكر في الأمر اضطرب جسمه واحمر وجهه ، فقد خالطت الصبوة الحياء فهو في حيرة من أمره . غير أنه لم يكن يملك لنفسه من الأمر شيئا . .

لقد ترصد الناس فلم يبصر بشيء . يثير الريبة فيوجب الحذر . إن الطريق خال إلا منه وتلك الفتاة فما علمه من بأس أن « يستمير » المال ديناً عليه . وامتدت يده الواجفة « تسلب » الفتاة نقدتها العزيز وحين اطمأن على النقد عدا نحو الندى عجولاً ، ورقى الدرج في سرعة البرق وبأس الماصفة ، ثم دفع الباب بقبضة قوية آملة حين بدأت الساعة تدق أولى دقائقها الاثنتي عشرة . فرمى نقده على التضد صائحاً — على السابع عشر !

وفاز السابع عشر . فدفع لوسيان فرنكااته الأربعة والثلاثين « للأحمر » وفاز الأحمر ! وترك ماله المتضاعف على اللون نفسه ففاز مرة أخرى !

وأقدم على الرهان بالقدر كله مرة وأخرى وثالثة إذ ما عاد يخشى احتباسا لحظه ، أو عثارا لجده . لقد كان يكدر النضار أمامه ، والورق في سترته . ثم بدأ يشرك « الروايت » مع الترد فكان لها من ماله نصيب راجح دائما في تضخم أبدا . وكذلك كان الحظ موافيا مع « الدسته » و« العدد » ومع « العمود »

لقد كان حظا ذهبيا لم يسمع به إنسان !

وقال الناس بسحر ينبعث من عيني الفتى فيأمر الكرة العاجية الصغيرة حين الدوران في الآلة !

واستطاع لوسيان أن يسترد ماله الذى افتقده

مقدمه الذى احتضنه أول الليل ، وحل بساحته
كابوس تقييل .

وبدأ فجر أحد الأيام يفصح فى الشرق خجولا
حييا : ضرب نهار السحاب الشف من دونه ، وقام
متمثرا فى طبقات الليل المدبر ... وبدأ النور يسترق
خطاه مترفقا ، فبدأت الحجرات تضيء من وراء
النوافذ

فى ذلك اليوم اغتسل « لوسيان دى هيم »
وتناول فطوره وقصد « جماعة أنصار الحرب » ،
وأدرج اسمه متطوعا فى الفوج الافريقى الأول
لقد أصبح الآن لوسيان « ملازما » بالجزائر
صالحا لا يقامر ولا يشرب ، يكسب ما يقوته ويقوم
أوده . وفى يوم كان زميل له يسير خلفه فى طريق
« كاسية » المنحدر فرآه يحسن إلى فتاة أسبانية
حسنة ، نعم ! لقد كانت حسنة فائنة ! وكانت
تنام فى الطريق !

ودهش الزميل من كرم لوسيان ...

لقد كان يبد الفتاة نقد من ذى العشرين
فرنكا ... سيد محمد العزاري
كناية الآداب

فى ثقة واطمئنان ! وأعلنت الساعة الثانية إلا ربعا .
إلا أربع عشر ... إلا ثلاث عشر . وقام صاحب
الندى عن « بنكه » الخامر بقول :

— لقد أفلس « البنك » يا سادة ! كفى لعبا
الليلة !

فساء ليل النذرين ! إذ هم بين خامس وموتور
وحسير . وقدافع الجمع عليه بالمناكب ، ودوا لـ
ينهبونه ويستردون ما لهم السليب ، ولكن لوسيان
دفهم بيديه مفسحا قدمه مجالا بين أقدامهم الزاحفة
وصرق من بينهم كسهم مفوق يريد الباب فالدرج
وعدا مسرعا شطر الفتاة الوسنى . لقد رآها على
نور مصباح الطريق

— حمد الله فهى ما فتئت هنا ! وأسرع نحوها
ثم أمسك بيديها
— كم هى مثابة تلك الساحرة ! واحتضنها
بين ذراعيه قالت رأس الطهلة للوراء دون أن
تصحو فقال :

— ما أجل نومكم أيها الأطفال الأعززة !
وشددها الى صدره كي يشيع الدفء فيها .
وأراد أن يوقظها بقبلة يطبعها على عينها الناعسة ،
ذات الأهداب الوطفاء . ولكن .. ما لها مسيلتان
أبدا ! لقد كانت عينها نصف مغلقتين فشفقتا عن
عيون صافية . ولكن ... لا حراك لهما !
إنها ميتة وإنها لضحيته ! . بينما هو يكسب
الآلاف من الفرنكات ويبيعثر الآلاف من الفرنكات
كانت « ممولته » تموت من برد وزمهرير
إنه لم يحتمل الصدمة فأراد الصباح ، ولكن
صوته احتبس فى حلقه فأداه ، فأيقظه ذلك من سنة
أخذته رجمة ، ونوم طاف به رافة . لقد نام فى

رفائيل

اشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثن ١٢ قرشا

فصربت يداً بيداً بحركة اغتصابية فسألني ديجنه :
ما هذا ؟

فقلت : لو كنت رساماً ولاح لي أن أصور
السامة والضجر لما كنت أرسم روضها فتاة
مستغرقة في التفكير وفي يدها كتاب
فقال : هل تكيد لأحد هذا المساء ؟

ولم تستوقفني ابتسامته فقلت : إن هذه المجذلية
الغارقة بدموعها لم يزل صدرها ناهداً بالأمل ، وبدها
الناحلة التي تسند إليها رأساً لم تزل تعبق بالعطار
الذي سكبته على قدمي المسيح ، وهذه الصحراء
وما حولها آهلة بأشباح أفكار تنجيه بالصلاة إلى الله
فقل لي أهذا هو روض السامة والضجر ؟

فقال بصوت لا أثر للشعور فيه : ليس هنا
إلا امرأة تطالع كتاباً
فقلت : ولكن هذه المرأة سميدة والكتاب
الذي تطالعه جليل

وأدرك ديجنه ما أرى إليه ، وأنا مستسلم
للأسى ، فسألني عما ألم بي ، ولكنني ترددت في
الجواب فكان يداً ربهط على قلبي

وبعد صمت قصير قال ديجنه : إذا كان هنالك
ما يؤلمك فلا تكتمه عني وأنت تعلم أنني لك خير
صديق

فقلت : أعلم أن لي صديقاً ولكن آلامي
لا صديق لها

وأخ على فقلت : إذا أعربت لك عما يخالجي
فما بفيدك ذلك وأنت عاجز عن تفريج كربتي وأنا
أعجز منك . أفتريد سبر أعماق سريرتي ، أم أنت
تطلب كلمة أنتحل لك فيها الأعداء ؟



اعترافات فتى العصر

لألفريد رى سوسيه

بقلم الأستاذ فليكس فارس

الفصل الخامس

و كنت وديجنه جالسين ذات مساء قرب الموقد
والنافذة مفتوحة ، إذ كنا في أوائل مارس ، وقد
انقطع مطر النهار ، فهبت علينا من الحديقة طلائع
عبقات الربيع

وقلت لديجنه : ماذا تريد أن تفعل في الربيع
فأني أشعر بحاجة إلى السفر ؟

قال : سأفعل ما فعلته السنة الماضية ، فأذهب
إلى الضاحية عند ما يحين الزمان

فقلت : أفتريد أن تسير في كل سنة على وتيرة
واحدة

فقال : وماذا تريد أن أفعل ؟

فنهضت فجأة وصحت به : أجل ، قلت حقاً
يا ديجنه ... فأنا قد تعبت من كل هذا ، أفأملك
أنت هذه الحياة ؟

فأجاب : كلا !

و كنت واقفاً أمام رسم المجذلية في الصحراء

فقال : كُنْ حَرًّا الضمير

فقلت : اسمع إذا ... لقد بذلت نصحتك لي فيما

مضى ، فاصغ الى الآن كما أصغيت حينئذ إليك

قف أمام أى رجل كان وقل له إن في الحياة

ألماساً يعضون أيامهم في احتشاء الخمر وركوب الخيل

والضحك واللعب واغتنام فرص الملذات بأنواعها ،

فلا شيء يحول دون مضيقهم على السبيل الذي اختاروه

لأن شربهم تقوم على استحسانهم ، ولهم من

يشاؤون من النساء لأنهم أغنياء ، ولا هم لهم ، فكل

أيامهم أعياد

فإذا لم يكن هذا الرجل الذي تخاطبه من أهل

الورع والتقى فانه ليقول لك إن هذه الحياة نهاية

ما يتصوره الانسان من سعادة على الأرض

خذ بهذا الرجل واقذف به الى هذه الحياة التي

وصفت ، أجلسه الى مائدة قرب امرأة وضع كأساً

في يده وانفجه كل صباح ببذرة من الذهب وقل

له : هذه هي حياتك : بينما تكون نائماً الى جنب

عشيقتك تكون خيولك تحفش على مرابطتها ، وبينما

تكون ممتطياً جوادك بقرع المتزهات بحوافره ،

يكون شرابك يغلي مختمرآ في دنانه . وبينما تحيي

ليلك شارباً ثملاً ، يكون أرباب المصارف يعملون

على إتمام ثروتك . فاعليك إلا إبداء رغباتك لتتقلب

أمانيتك حقائق . أنت أسعد الناس ولكن حذار

أن تغرط في الشرب في ليلة من لياليك ، فتجد

جسدك بعيداً عن تذوق ملذاتك لأن كل مصيبة

تجد عزاءها ما عدا هذه المصيبة الدهماء . لقد يكبو

جوادك في الغاب وأنت تلهو بالطراد مع رفاقك

فتندهور الى مستنقع ، وإذا تستغيث لا يصل صوتك

الى آذان هؤلاء الصحاب وقد أصمهم السكر وجلبة

الجبور . حذار أن يمروا بك دون أن يعثروا عليك

فيتوارون عنك وأنت ترحف بأعضائك المحطمة

تحت جنح الليل

لا بد أن تخسر بالمقامرة في ليلة من لياليك

فللاحظ ساعاته السوداء ، فإذا ما عدت إلى منزلك

لتجلس أمام موقدك ، حذار أن تضرب جبينك

بيدك وأن تدع الأسمى يبلل أجفانك ، وأن تدير

لحاظك مفتشاً عن صديق . إحذر بحاسة ألا يجمع

بك خيالك الى كوخ ينام فيه زوجان على فراش

الطمانينة وقد اشتبكت أنامل أحدهما بأنامل الآخر

حتى في الرقاد . لأنك ان ترى أمامك على فراشك

الفخم الوثير من تسر إليه نجواك سوى المخلوقة

الشاحبة التي تتمشق دنائرك ، وإذا ما لجأت إليها

لتشرح صدرك فإن يخفي عليها أمرك وسبب حزنك

إنها لتشعر بفداحة خسارتك فتذهب دموعك مثيرة

في قلبها الشجون ، لأنها ستشعر من دموعك هذه

بخطر يهدد ثوبها بالألا يتجدد والحوائم التي تلمع في

أناملها بأن تسقط منها

حذار ، يا هذا ، أن تفوه أمامها باسم من ربح

مالك هذا المساء فاقدر تنقيته هي غداً وترسل إليه

لحظات الأغواء من خلال ما يحوطك من خرائب

وأطلال

ذلك هو الضعف البشري ، أيها الرجل ، فهل

لك من قوة تحتمل مثل هذا الضعف ؟

إذا كنت رجلاً فاحذر السامة ، إنها لداء

عياء ، واليت خير من حى سُم الحياة

إحذر الحب إذا كان لك قلب لأن الحب عار

الفاستقن ، وخير لهم أن يصابوا بأى داء من أن

يصبحوا مهزلة في أعين أمثالهم المقدرين لكل خايلة

عنك بما في أحشائها من حياة فتذكرك ، حتى الأشجار
الباسقة وأماليد الغاب

لقد خرقت شريعة أمك فأذكرك كل رضيع
من إخوتك في الحياة

إحذر غضب الله ، أيها المنفرد ، لأنك تنتهب
أمام وجهه الكريم متحجراً كالصنم على قاء-دة
إرادتك المنعردة فما تغدق السماء عليك رشاشها إلا
لتفت من أعضائك وتذنب هيكلك ، وماهب الهواء
عليك لينفجحك بقبلة الحياة وهي قبلة التوحيد بين
جميع الأحياء ، بل بعصف عليك عصفاً يهزك
ويقوضك تقويضاً . إن كل امرأة تضعها إليك
ستجذب شرارة من قوتك دون أن تبادلك شرارة
من قوتها . فما أنت إلا حقيقة تتراعى منها الكفة على
أشباح وحيث تسقط نقطة من عرق جبينك تنبت
شجرة من مظلمات القبور

مت ، فما أنت إلا عدو لكل من يحب ولاكل
ما يحب ... إن قبض على ذاتك في عزائك وانفرادك
ولا تتوقع أن تبلغ نهاية عمرك ، إذهب ولا تبق
منك على الأرض نسلا تسبق في الحياة دماً من
دمك الفسود

تبدد كالدهان ولا تحرم بظلك حبة القمح
الناطقة من نور الشمس . »

وما انتهيت من هذا الخطاب حتى استلقيت
على المقعد وقطرات الدموع تتساقط من عيني ، وأنا
أعول قائلاً : أليس هذا ما قلته لي أنت يا ديجنه ؟
أفأ كنت تعرف هذا من قبل ؟ وإذا كنت عرفت
فلماذا لم تتكلم

وكان ديجنه مشبكاً أنامله ، وقد علتة صفرة

ثمناً . وليس المرأة التي تبيع نفسها أن تحتقر أحداً
إلا الرجل الذي يحبها ...

إذا ما شمعت بالحب يحتاج قلبك فاحذر أن
ينم وجهك عليه ... فما يتخلى عن درعه إلا الجندي
الجبان . وعلى الفاسق ألا يظهر تعلقه بشيء
لأن ظفوره قائم على أن لا يمس شيئاً إلا بيد من
رخام دهنت بالزيت كيلا يعلق عليها أثر مما
تقبض عليه

إذا كنت نزقا وأردت أن تحيا ، فتدرب على
القتل لأن في الخمر ما يقودك الى المشاغبة ، وإذا
كان لك ضمير فاحترس من الساعة التي تاتي فيها
رأسك على الوساد ، لأن الفاسق إذا ندم بعد فوات
الأوان يشبه مركبا احترقته مياه البحر فلايس له
عن موقفه متقدم ولا متأخر ، فلا يسير الى العباب
ولا يعود الى البر وعبثاً تدفعه الرياح إذا جذبته
الليجج ، إنه ليدور على نفسه ويفور . .

إذا كان لك جسد فاحذر الأوجاع ، وإذا كان
لك روح فاحذر القنوط ، بل احذر الناس بأسرهم ،
أيها الشقي ، فانك ما دمت سائراً في طريقك التي
تخيرت لتشهد سهلاً فسيحاً تدور عليه حلقات
الراقصين متماسكات متتابعات كدوائر الأزهار ،
ولكن ما تشهده ليس إلا سرايا خادعا في قاحل
الصحراء

إن الناظرين الى مواطن أقدامهم يعلمون أنهم
ينسحبون على صراط ممتد فوق نهر عميق ولسكنم
تهايوي إليه السائرون فضعهم الى سكونه فانطبقت
عليهم صفحته الهادئة دون أن تنتجهم

حذار أن تزل بك القدم فان الطبيعة انتراجع

الموت وأنهم الدمع من عينيه

وساد بيننا السكوت . وقرعت الساعة فذكرتني
فجأة اننى فى مثل هذا اليوم وهذه الساعة منذ سنة
تكشفت لى خيالى مخادعة خائنة

فصحت بديجته : أسمع دقات هذه الساعة ؟
أسمعها ... ؟ إننى لا أعلم بماذا تنذرني ؟ ولكننى
أشعر أنها ساعة رهيبة سيكون لها شأنها فى حياتى
وكننت أنفوه بهذه الكلمات وأنا مسلوب
الارادة مضمض الحواس ، وفتح الباب فجأة فى تلك
اللحظة نفسها ، ودخل القاعة أحد الخدم ، فأخذ
بيدى وانتحى بى إلى زاوية وأسر إلى قوله : أتيت
لأخبرك ياسيدى بأن أباك على فراش الموت فقد
أصيب بالشلل ، ولا أمل للأطباء فى حياته

الجزء الثالث

الفصل الأول

وكان والدى يقطن ضاحية قريبة من باريس .
وعند ما وصلت إلى المسكن رأيت طبيباً واقفاً أمام
الباب فقال لى : لقد وصلت متأخراً ، وكان أبوك
يتمنى لو براك للمرة الأخيرة

دخلت فإذا والدى مسجى وقد فارقه الحياة
فقلت للطبيب : أرجوك أن تبعد كل من فى الغرفة
دعنى وحدى فقد كان لوالدى ما يقوله لى ، وسوف
يقول كلمته الآن

وخرج الخدم فتقدمت إلى السرير ورفعت
الغطاء عن وجه الميت ، ولكننى ما ألقيت نظرى

عليه حتى تراميت لتقبيله فأغمى على

ولما أفتت على فراشى فى غرفة أخرى سمعت
من حولى يقولون : لا تدعوه يذهب وإن أصر .
انتظرت حتى رقد جميع من فى البيت وأخذت
مصباحاً وتوجهت إلى غرفة الميت فوجدت فيها
كاهناً نيكاً جالساً قرب السرير ، فقلت له : لا حق
لك بأن تنازع ولداً ليلة أخيرة بقضيتها قرب أبيه .
لأعلم ماذا قيل لك بشأنى غير أننى أرجوك أن تدخل
إلى الغرفة المجاورة وأنا أنخذ على عاتق كل تبعه قد
تقع عليك

ذهب الكاهن فعمدت مكانه ومددت يدى
أكشف المرة الثانية عن هذه اللامع التى قضى
على بالاً أراها بعد

وخاطبت الميت قائلاً : ماذا كنت تريد أن
تقوله لى يا أبى ؟ لقد أدركت لحاظك مفتشاً عنى قبل
انطفاء عينيك ، فما كانت فكرتك الأخيرة يا ترى ؟

وكان والدى يكتب مذكرات يدون فيها وقائع
أيامه ، وكان كتاب هذه المذكرات مفتوحاً على
الخوان فقدمت إليه وجثوت فإذا على الصفحة
الأخيرة هذه الكلمات :

(الوداع يا ولدى ... أحبك ... وأموت)
جمدت دموعى واختنقت زفراتى ، فكان يداً
شدت على عنقى وختمت على فمى . فوقفت شاخصاً
بالميت المسجى أمامى . وما كان فى حياته يجهل
ما كانت عليه حياتى ، فقد كان يشكونى إلى نفسى
ويوجه إلى التقريع ، وما اجتمعت به مرة إلا وحدثنى
عن مستقبلى ، وتناول باللوم مآتى شيبابى . ولكنى
أنقذتني نصائحى من تهلكة ، فقد كان لارشاده

لأننى كنت فقدت التفكير فاستغرقت فى سكرينة مطبقة . فان ماصدمت به كان من العنف والاستمرار على قوة نالت منى حتى غدوت كالسلوب تنقر أعصابه فلا يجيب

وكان خادى لاريف شديد التعلق بوالدى ولعله كان خير الناس بعده فى تقديرى ، وكان من سنه ومن قده وبابس ما يهبه إياه من أثوابه ، وقد وخط الشيب شعره بعد أن قضى عشرين سنة فى خدمته ، فاقتبس شيئاً من حركاته

وكنيت بعد المشاء أتمشى فى الغرفة فأسمع وقع أقدام خادى يتمشى أيضاً فى الدار وما كان يدخل إلى الغرفة بالرغم من تركى الباب مفتوحاً ؛ ولسكنا كنا نلتقى من حين إلى حين فيرى أحدهما الآخر من خلال دموعه ، وهكذا كانت تمر ليالينا ، فما كنت أطالب من الخادم إشعال المصباح إلا بعد أن يكون مضى وقت طويل على غروب الشمس وكان البيت لم يزل على ترتيبه القديم ، فما زحزح الخادم ولا أما ورقة من موضعهما ، فكان مقعد والدى لم يزل قرب الموقد ، وبقي الخوان والسكنب والرياش فى مواضعها ، وكنيت أحترم الغبار الذى علا هذه الأشياء ، وعند ما كنت أرتدى مبادل أبى وأسترخى على مقعده كان يحيل إلى أن فى الجدران عيوناً ترمقنى بالحظات الاشفاق ، وأننى أسمع همساً يقول : أين مضى الوالد . . . فما يتربع على كرسيه الا اليتيم . .

ووردت إلى بعض الرسائل من باريس ، فأجبت الجميع أننى أنوى تمضية الصيف فى الضاحية وحدى جرياً على عادة أبى ، وبدأت أدرك أن فى

قوته المستمدة من فضيلته لأنه كان مثال الدعة ومكارم الأخلاق . وقد كان يتمنى لو يرانى قبل موته ليردنى عن السبيل الضلوع الذى توغلت فيه ، ولكن النية عاجلته فلم تدع له إلا كلمة واحدة يقولها ، فقال : إنه يحبى ...

الفصل الثانى

وكان قبر والدى يحوطه سور من خشب ، لأنه أراد أن يدفن فى مقبرة القرية ، فكنت أذهب كل يوم لأقضى ساعات على مقعد صغير كان موضوعاً داخل السور ثم أعود إلى المسكن الذى كان يقطنه ولا رفيق لى إلا خادم واحد

مهما فعلت أحزان الشهوات فى النفوس فما هى إلا آلام حياة ، وهل تقاس آلام الحياة بأحزان الموت ؟ إن أول ما نابدر إلى ذهنى حين وقفت إلى جنب سرير والدى الميت هو أننى ولد جاهل لا يعلم شيئاً ولا يعرف شيئاً ، وعند ما ربط الأسمى على قاي شعرت به كالم فى جسدى حتى كنت أتولى كمن أفاق من غفلة فشعر بجهله وأحس بآلامه

ومضت الشهور الأولى على فى الضاحية وأما ذاهل لا أذكر الماضى ولا أبالى بالمستقبل . فما كنت أشعر أن من عاش فيما مضى كان إيلى ، وما كان ما يستولى على فى ذلك الحين ليشبه آلام اليأس الثائر التى كانت تقبض على من قبل ، بل كان نوعاً من الجلود والتعب فكاننى كرمعت السامة فوجدت لها سرارة تتشجج لها أحشائى

وكنيت أجلس طيلة نهارى إلى كتاب أنصفحه ولا أقرأ ، بل أنظر إليه لأعيش فى أجواء تشبه العدم

كل شر بعض الخير ، وأن الآلام المظلمى مهما قيل فيها راحة عظمى ، فإذا ما تكشف المقدور لنا من علم غيب الله فانه ليصدقنا لينبهننا من غفلات الحياة ، وإذا ما تكلمت هى أسكت صوته كل صوت ، وإذا كانت الآلام الموقوتة تجدف شاكية ظلم السماء ، فان الآلام المستمرة الكبرى لا تجدف ولا تشكو بل تخضع وتنبيه لتسمع وتنى

وكنت كل صباح أف الساعات الطوال متأملاً فى مشاهد الطبيعة ، وكانت نوافذ غرفتى تطل على واد عميق يرتفع من وسطه جرس المعبد على قبابه ، فكان كل ما يمتد نظرى عليه ينم عن البساطة والفقر ، وما كانت مشاهد الربيع بأزهاره المتفتحة وأوراقه الغضة لتثير فى نفسى ما يتخيله الشعراء من التفجع ، إذ يرون فى انجلاء الحياة ابتسامة ساخرة بالموت ، ولا أرى من يقول بهذا القول إلا مغالطاً أو شاعراً بقلب لم يتكامل الشعور فيه

إن من يخرج عند بزوغ الفجر من قاعة المقامرة وقد فرغت يده يمكنه أن يشعر أن بينه وبين الطبيعة عداء ونضالا ، فهو أمام أنوار الشفق كصباح ليلة فاجرة ... ولكن ما يمكن أن تسر به الأوراق المطلة من غصون الربيع للولد المنتحب على أبيه ؟ وما دموع عينيهِ إلا أخوات الأنداء ، وهل أوراق الصفصاف نفسها إلا قطرات دموع ؟ لقد نظرت طويلاً إلى السماء والغاب والمروج ، فأدركت أن تعزية الناس للناس إنما هى تملة من بنات الخيال ؛ وما كان لاريف ليخطر له أن يعزى نفسه أو يوجه إلى عبارات التعزية ، فقد كان هذا

الرجل يخشى أن أبيع البيت وأذهب به إلى باريس ولعله كان مطالعاً على حقيقة حياتى الماضية إذ كانت تبدو عليه دلائل القلق فى أول الأمر ، ولكنه عند ما رآنى أعد المنزل لأقيم فيه شعرت بنفوذ نظرائه إلى أعماق قلبى ، وكان ذلك يوم استحضرت من باريس صورة كبيرة لأبى علقمها على جدار غرفة الطعام ، ولما دخل لاريف ورأى هذه الصورة أخذه الدهول وبدأ ينقل نظرائه من رسم والدى إلى وجهى وفى هذه النظرات من تساوى الحزن والفرح ما يصعب التعبير عنه ، فكانه كان يقول لى : يا للسعادة ، لسوف نستغرق بسكون فى حزننا

ومددت له يدي فأوسمها تقبيلاً ، وكان هذا الخادم يعنى بأحزان سيده كأنها سيدة أحزانه ، وكنت كلما ذهبت فى الصباح إلى القبر أرى أنه سبقنى إليه وسقى أزهاره لينسحب عند وصولي ويخلى لى المكان

وكان يتبعنى عند ما أمتطى جوادى وأذهب متزهاً فى الغاب ، فأراه قد أطل على فى الوادى ماشياً يحير ورأى وهو يمسح عرق جبينه لاهثاً ، فاشتريت له فرساً من أحد الفلاحين ، وهكذا أصبحنا كلانا نذهب متجولين فى الغاب

وكان فى القرية من معارف أبى من كانوا يزورونه أحياناً ، ولكننى اضطررت إلى قفل بابى دون كل زائر وإن صعب ذلك على ، فإكان لى جلد على مقابلة أحد

وفكرت يوماً أن أطلع على أوراق والدى ، فقدمها لى لاريف بيد خاشعة مرتجفة . ففك رباطها ونثرها أمامى ، وما تلوت الصفحات الأولى منها

فكنت أتبع في الطعام والقراءة والتنزه الخطة التي اتبناها هو فتعمدت الحياة الهادئة المنظمة تدخل الطعام أئنة إلى قاي طول نهاري ، حتى إذا جاء المساء رقدت مستكنة وأنا أشعر بالغبطة حتى في أحزاني

وكان والدي شديد الميل إلى العمل في الحديقة فيوزع أوقاته بمد حرثها توزيعاً متساوياً بين المطالعة والتنزه فيعطى لقلبه ولجسده ما يحق لكل منهما واقتديت بأبي أيضاً في أعمال البر متممًا ما بدأ به فكنت أذهب مفتشاً عن من أتمكن من مدي المساعدة لهم ، وعددهم وفير في الوادي حتى اشتهرت بينهم . وهكذا لأول مرة في حياتي شعرت بالسعادة فليس كالرحمة ما يطهر الأحران ويقدمها . فقد بارك الله دموعي فتعلمت الفضيلة من الآلام ...
(يتبع)
فليكس فارس

مكافأة

لمه برل على القاتل

تعطى مجلة « الرواية » مكافأة وقدرها ٥ جنيهات لمن يدل على القاتل في القضية المشار إليها في « يوميات نائب في الأرياف » للكاتب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم التي تنشرها المجلة تباعاً على أن تصل الردود إلى المجلة قبل أول يولي مع بيان الأدلة بوضوح وإيجاز

حتى شعرت بانتماش كأن نسجت عليلة هبت على من جوانب بحيرة صافية ساكنة ؛ وكنت كلما قلبت صفحة ونفضت عنها غبار الزمان ، عبت منها كالعطر حياة أبي تتوالى يوماً بعد يوم ، فأعد فيها خفقان فؤاده وأستعرض وقائعها كقول مساع كلهما جيد ، وقد نبتت في كل جوانبها أزهار العطف والتبل ، وتمازجت ذكريات حياته بتذكارات موته ، فكنت أتبع هذه الحياة تتحدر كالجدول الصافي نحو بحر الموت

وهتفت في صمتي : أيها الرجل الصالح الذي لم يعرف الخوف ولم يتدنس باثوم السكم كنت طاهراً في جهادك ، ومخلصاً في ولائك ، ووفياً في حبك لزواجك أي ، السكم كنت معجباً بالطبيعة ، ومتعبداً لربك ، فحشرت في هذه العواطف كل حياتك ، ولم تدع أسوأها منفذاً إلى قلبك ، فما كانت التلوج على أعلى الجبال بأني من ناصع شيبك في شيوخوختك الصالحة ، ألقى هذا الشيب على رأسي يا أبي فان فيه من الشيبية ما ليس على شمري الذهبي . هبني أن أعيش كما عشت أنت وأن أموت كما مت ، فأنني أريد أن أغرس في التراب الذي يواريك غصناً ناضراً لحياتي الجديدة فأسقيه من دموعي والله راعي كل يتيم ، ينمو هذا الغرس المقدس ليظلل أوجاع ولد وتذكارات شيوخ ...

وبعد أن اطلمت على الأوراق جميعها ، قررت أن أدون أما تذكارات أبي فأعددت لها كتاباً على مثال كتاب والدي ، وبدأت بالسير على آثاره وطبع حياتي على غرار حياته . فكانت الساعة كلما دقت تذكروني بحركة من حركات أبي وسكنة من سكناته



هوميروس

في أرض المردة (السيكلوبس)

وشرع أوديسيوس يجيب عما تسأل عنه الملك فقال : « أيها الملك تعالي جده ، لشديما يطرب ما تغنى هذا المنشد غذاء الآلهة ! ولقل ما تعدل الدنيا بأمرها هذا المجلس الشاذي ذا الأضياف والآكال والأشربات ! على أنني مجيبك على ما يدهك من دموعي وهموي ، وما لقيت وما سوف ألقى مما قسم لي من أشجان وأحزان ! إذن فأعرف اسم ضيفك الشرير الذي لا يجهل اسمه أحد ... ضيفك اللانذ بكرمك ، المستذري بجمالك ، التشبث بك ليصل في ظلك إلى بلاده ، هما تقاصت ومهما نأت ... أما أيها الملك ... أوديسيوس ... أجل ... هو أنا أوديسيوس ذو الذكر ، المعروف في السموات بالدهاء والمكر ، ... ابن ليريس رب إيثاكا ، وملك تريتوس ذي الشعاف السامقة ، والجزر الآهلة حول ساموس ودخليوم وزاسنتوس ، أم الجزائر التي تصافح تباشير الصباح بكل روضة فيحاء وخميلة لفاء ، وجنات ذوات



من
اساطير
الأولين

الأولاد ليريس

ليريس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة الفصل السابقة

« انتهت حرب طروادة ولكن أوديسيوس العظيم لم يعد فيمن عاد من أبطال اليونانيين إلى بلاده ، وكانت زوجته بنلوپ آية في الجمال ، فطمع فيها كل أمراء النواحي وحاصروا بيتها ليرغموها على التزوج من أحدهم . وكان لأوديسيوس ولد اسمه تليك حريشته ميترقارية الحكمة على الإبحار ليسأل عن أبيه ملكي بيلوس وأسيرطه . وغبظ العشاق لما علموا بإبحاره فتربصوا له ليقتلوه . أما أبوه فإنه لما أبحر من طروادة نسي أن يضعي للآلهة فغرقت أساطيله ونجا هو إلى جزيرة تسكنها عروس الماء كاليبسو التي عشقته أول ما رأته وأبقتة عندها سبع سنين ، حتى أمرها كبير الآلهة زيوس أن تطلق سراحه فأبحر على رمث صغير ، ولكن نيتيون عدوه الأكبر لحه وهو يقترب من أرض بلوك البحر فأغرقه صه أخرى ، وبعد بضال شديد سبج إلى الشاطئ حيث أتى توزيكا ابنة الملك فأرشدته إلى بيت أبيها الذي أكرم مثواه ووعد أن يردده سالما إلى بلاده . وأقام الملك حفلا رياضيا اشترك فيه أبطال المدينة وغمز أحدهم أوديسيوس بكلمات ينمي عليه فيها أنه لا يعرف من الرياضة شيئا ولا لشارك في تلك الألعاب ، فغضب أوديسيوس ونهش فخذف بالقرص الكبير فخذقة بلغت من المدى أضفاف ما قذف أقوى أبطالهم ، ثم تحدى الجميع لمصارعته وملاكنه ففزعوا ... وسأله الملك من هو ولم كان يبكي حينما سمع المنشد يذكر حروب طروادة وبطلها العظيم أوديسيوس ... وهو هنا يجيب عن أسئلة الملك بهذا الفصل الفريد الذي يرتفع فيه هومير إلى الذروة »

الجند ... فوا أسفاه ! ... لقد افتقدت ستة من رجال كل سفينة ... سقطوا في المعركة الخاسرة ! وأجئنا الليل ، فجلسنا نتذاكر أسماء القتلى ؛ وما كدنا نفعل حتى سخر علينا جوف رب السحاب الثقيل - ربحا صرا عاتية أثار البر والبحر ، وعصفت بمراكبنا فطاحت فلاءهما ومزقت شراعها ، ففزعنا إلى المجاذيف وأعمامنا السواعد ، مستقنلين مستميتين ، حتى نجونا بعد لأي إلى البر ، حيث تلبثنا لياتين طويلتين في أين وإعياء ، وشكاة وشقاء ، نصلح القلاع وترنق الثراع .. وفي صباح اليوم الثالث تطامن البحر ونام هائج ، فبادرنا إلى الغلك وأقلعنا باسم الآلهة مجراها ومرساها . وما كدنا نلمح شطآن ماليا ، حتى هبت زوبعة عنيفة تلاعبت بنا ، وحماتنا إلى جزيرة سيتيرا ... وطفقنا بعدها نذرع العباب تسعة أيام أخرى ، حتى بلغنا بلاد (لوتوفاجي) ، هذا الشعب الغريب الذي يقتات بالفاكهة فحسب ، من دون ما تنبت الأرض وما يدب عليها ... ورسونا ثمة ، وأهرع الملاحون إلى البر فاستراحوا وسمروا ؛ ثم تخيرت اثنين من أوثق رجالي ، وجعلت عليهما نائلا رئيسا ووجهتهم إلى سكان هذه الأرض ليتعرفوا أحوالهم ، فاختلفوا بهم ، وقابلهم اللوتوفاجي بالبشر والترحاب ؛ ثم عرضوا عليهم من ثمر اللوتس المجيب ، الذي ينسى آكله ما أسلف من حياته ، وتنبأت ما بينه وبين وطنه من وشيجة فافكر فيه ، وإذا فكر فيه فاثور أن يرتد إليه ، بل يصبح كل مناه أن يأكل ويأكل ويأكل من هذا اللوتس المجيب ، وأن يعيش أبد الدهر بين أولئك اللوتوفاجي السجراء ! ... وتناظرت عودة رجالي ،

شجر وثمر ، صبيها لأبنائها الأوفياء ... هناك ... حيث احتجزتني عروس الماء كاليبسو في كهفها ، وراودتني لأكون بعلها ... وهناك ... حيث أغرتني سيرس هي الأخرى ، سيرس صاحبة جزيرة إيايا ... التي حاولت أن تتخذ مني خايلا فأبيت ، ولم أقبل أن أضحي وطني وأهلي ، ولو أصبحت زوجا لاحدى الرباب الخالدات ... ولكن لا ، لم قبل كل شيء أقص عليك من أبناء رحلتى منذ بارحت إليوم ، ولأدع ما قبل ذلك فهو معلوم مشهور :

« أقامت بنا الفلك إلى بلد السيكون (إزماروس^(١)) ، (فبدالى أن أزيد في ثروة رجالي وما فازوا به من أسلاب طروادة ، فأشرت عليهم بفتح المدينة واغتنام ما فيها من كنوز وأخضر^(٢)) وسرعان ما تم لنا ذلك ، فقتلنا المسكر وملكنا القرية ، ووزعت السبي والأسلاب على جنودى ، ثم أشرت عليهم بالرحيل فعصوا أمرى ، وعثوا في المدينة مفسدين ، وعاقروا من الخمر وعقروا من الشاء ما أذهلهم عن أنفسهم ، وأتاح لأعدائهم لم الشعث ، ففجأونا بجيش عرمرم منهم ومن جيرانهم ، وناضلونا عن مدينتهم فأوقعوا بنا ، ولم يُغتننا أما قاتلناهم حتى مطلع فجر اليوم التالى ، بل ظل فرسانهم الصناديد يكرون ويفرون ، حتى قذفوا بنا في البحر ، فوقفنا في سفائننا نناوشهم برماحننا ... وصعدنا لهم حتى توارت الشمس بالحجاب ... فانسحبنا نجر أذيال الهزيمة والخزى ، بعد إذ انتزع السيكون بخار النصر . وعدت إلى

(١) على الشاطئ الشمالى لبحر إيجه

(٢) ما بين القوسين من شرح الأستاذ جربر وليس من

من الأوردية

بيد أنهم لم يرجعوا ، فاضطرت أن أذهب بنفسى إلى حيث هم ، فحمتهم قسراً إلى الشاطئ بين الموبل والضجيج ، وقذفت كلا منهم في قرة مغلولاً مكبلاً مشدود الوثاق ، ثم أمرت الملاحين فأبحروا على عجل قبل أن يأكل بعضهم من اللوتس الملون فيضل ضلالهم وينسوا أوطانهم ، ويظلوا في هذه الأرض جاعين

« وما عتَمنا أن وصلنا إلى أرض المردة الجبارة السيكاويس — الطغاة العتاة ، الذين لا يخضعون لشريعة ، ولا يأتمرون بقانون ؛ الذين تؤتى أرضهم أكلها رغداً من غير كد ولا عناء ... حبساً وأباً ، وحداث غلباً وقسباً وعنبا ، تُسقى مما يفيض عليها جوف من مائه الممين ... يعيشون فوضى ، لا تربطهم رابطة ، ولا يقوم بينهم نظام ؛ بأوون إلى كهوف موحشة ، وغيران حقيقة ، في قلل الجبال وأحيادها ... يُسعى كل منهم بنفسه وزوجه وأولاده وقطمانه ، ولا يأبه للباقيين ، وتلقاء أرضهم توجد جزيرة ممشبة أريضة شجراء ، فيها من الماعز السائم قطعان لا حصر لها ، ولكنها مع ذلك يهملها^(١) مُضِلَّة ، لم تظأها فيما غبر قدم إنسان ، ولم يُرَّش إلى حيوانها منهم صائد ، لأن السيكاويس لم يحاولوا أن يركبوا البحر مطلقاً ، ولم يعرفوا طوال حياتهم هذه الجوارى المنشئات فيه كالأعلام . لذلك سلمت الجزيرة بما فيها من خير ، وتكاثرت قطعانها حتى امتلأت بها مروجها الخضراء السندسية ... وثمة ، في جَوْن هادى جميل ، ألقينا مراسينا ، وزلنا من سفائننا ، في ظلام الليل الدامس ، وفي حراسة الآلهة ، بمداد ارتطمنا

بسيف البحر ... ثم نمنا على الشاطئ حتى مطلع الفجر ؛ وأشرق أورورا تنفس بالورد مشرق الأفق ، فنهضنا بنجوب الجزيرة ، وتنفساً ظلال الحور ، ورمى عرائس الماء ترى الماعز ؛ فبادرنا إلى سفننا ، وأحضرنا الحراب والأقواس ، ثم تفرقنا ثلاث فرق ، وشرعنا نصيد من هذا الحيوان ، فاجتمع لنا منه الشيء الكثير ، ونال كل من رجال سفائننا الاثنتى عشرة تسع أعنُز ، بمد أن تخيرت عشرنا لنفسى ؛ ولبثنا يومنا هذا نفتذى بكل شواء حنيد ، ونسكرع كل كأس روية ، في غير تخمة ولا شجى^(١) . . . والآلهة تلك الحجر السلاف السيكونية التى افترعناها من زقاق أزماروس ! ثم نظرنا ناحية الغرب ، فراعنا إله دخان كثيف يصعد في الأرض القريبة ، ورغاء وضواء كالرعد تنتشر في جنباتها ، وإذا هؤلاء السيكاويس المردة ينتشرون في الأرجاء ، وأمامهم قطعانهم من الشاء والأنعام ... أعداد لا حصر لها ... عليهم إذا عُد الحصى يتخلف !

ونمنا ليلتنا صروعين ، حتى إذا بزغت أورورا نهضنا واحتشدنا في صعيد واحد ، ثم قمت في رجلى خطيباً ، فقلت : « أيها الأخوان ! اتبِقْ غالبيتكم في هذه الجزيرة ، فاني ذاهب في نفر منكم تروود هذه الأرض ، ونعرف من أبناء أهلها ، ونعلم من أحوالهم ، ونرى هل قوم ظلم وضم ونضال هم أم ربيون يهشون للمكرمات ، ويحبون للآلهة ؟ »

« وأقمت في نخبة من رجلى فوصلنا طرفاً من الجزيرة نائنا في البحر ، فوَقِه قلاع مشرفة عليه ، فهبطنا فيه ، وذهبتنا ترووده ، حتى انتهينا

(١) الشجى هو الفصص بالفراب

(١) مضلة لا يهتدى فيها

علوى للشاربين ؛ ثم كان معنا رُكْزاً^(١) به أكل كثير ، وكنا عدداً عديداً من الأبطال الصناديد ، ولكننا مع ذلك كانت تعترينا رعدة ، وكان يشيع في قلوبنا فزع ، أن يفجأنا هنا الجنى صاحب المكان ، الذى لا يخشى فيها شريعة ، ولا يرده عن أذانا قانون ... ، ثم توقلنا كذلك ، فأشرفنا على مغارة سحيقة هى مقام السيكلوب ومنامته من غير ريب ؛ بيد أننا لم نجد عندها ، فقلنا ربما انطلق بقطمانه يرعاه في المروج القريبة .. ورددنا الطرف في المغارة فرأينا مصافى كثيرة معلقة بنز الحصير^(٢) منها ههنا وههنا ، فمرفنا أن السيكلوب يصنع الجبن من ألبان مواشيه ، سيما وقد امتلأ المكان ببواط كثيرة مفعمة بالحصير والخيض . وعلى مقربة منا شهدنا حظائر واسعة لصغار الشاة والجلان والماعز ، وقد قسّمت فرقا حسب سنّها ... وقد بدا لبعضنا أن نذهب بما هنالك من جبن وزبد ، وأن نستاق الجلان والجدعان إلى سفائننا ، غير أنى — وا أسفاه ! — تأيبت ، لأننى آثرت لقاء السيكلوب ، رجاء أن ينفحنى من كنوزه ، ويسبع على من آلاؤه ؛ ولذا ، جالسنا ريثما يعود ، وأكلنا من جبنه وزبده ، وأشعلنا ناراً نستدفئ ، ثم إذا هو يطوى المروج الخضر بقطمانه ، وإذا على كاهله الرحب أثقال وأحمال من الحطب وفروع الشجر اليابس ، حتى إذا كان لدى الباب ألقاها في بطش فاهزت الأرض ودوى المكان ، وانحبس وصيد الكهف ، فانقذف الرعب في أفئدتنا ، فهورلنا مذعورين صمقين ، واختبأنا كالحافيش في زوايا

إلى كهف عظيم ضارب في الصخر ، وقد نما الفار الجليل على بابه الضخم ... ودخلنا ... وأماردهشنا هذه الحظيرة الكبيرة في وسط الكهف ، تتسع لقطمان لا عدد لها من الأنعام والأغنام والماعز ، ثم هذا الفناء العظيم المحدث بها يفصله عنها سور عتيد من الحجر الصلد ، مُتَرَسٌ بجذوع الحور والسنديان ؛ ولقد عرفنا فيما بعد أن صاحب هذه المغارة مارد جبار من أراذل السيكلوبس ، لصق بهذا الطرف من الجزيرة بمسف ويظلم ويمأؤه بغياً وعدواناً ... ثم هو إلى الجان والشياطين أقرب منه إلى أى خلق آخر ؛ فوجهه مربد عبوس أبداً ، وهو إلى ذلك هولة تحسبه إذ تراه قطعة من الصخر نحت منها ناطور فوق ناصية الجبل ... ؛ ... وتوقلنا^(١) ... وكان مى زق من خمر معتقة مما أعطانيه مارون بن إيثانت ، قدس فوبوس ، رب إزماروس ، لقاء ما أبقينا عليه وعلى زوجه وأولاده يوم غزوتنا لقريته ... ياله من كاهن سمح طيب القلب ؟ ! لقد نفحنى بأكرم الله^(٢) وأجزل الهبات ؛ وهل أنسى ما حييت تلك البدر السبع من الذهب الخالص ، وذلك الدن من الفضة الغالية ، وتلك الجرار الاثنى عشرة من الخندريس الصرف التى تُشرب باسم الآلهة ؟ لقد كان يفديها بنفسه وماله ، فلم يكن يعرف نخبأها أحد غيره وزوجه وأميته ... لقد كانت كأش روية واحدة من هذه المدامة تمزج بعشرين ضعف من الماء القراح ، وهى مع ذلك سكر ولذة وروح

(١) الرُكْز (الحرج) بضم الراء ما يحمل فيه الزاد

(٢) الماء يسقط من الجبن

(١) توقل : سعد فوق جبل

(٢) العطايا

ونجهم السيكلوب الجنى وقال مغضباً مستهزئاً :
 « حَسْبُكَ أَيُّهَا الْأَخُ الْغَفْلُ مَا خَوَّفَتْ مِنْ
 چوڤ ، فنحن السيكلوبس لا نبالي چوڤ ، حامل
 إبيجيس^(١) ، ولا سكان السماء قاطبة ... أنا أقوى
 منهم بكثير ، وأنا نفسي ، لن آبه لأينما نذير من
 چوڤ كبير الأولب ... ولكن حدثني قبل كل
 شيء متى ألت سفينتكم مراسيها في أرضنا ؟ وأين
 هي ؟ أقرية أم قاصية من هنا ؟ قل الحق ولا تخف
 عني شيئاً » ... وأجبتته في حيلة ورفق ، وقد
 عرفت ما رمى إليه : « لقد نسف نيتيون رب
 البحار مركبنا في اليم نسفاً ، وسلط عليها الزوابع
 فجرت بالوابعها بعيداً ... بعيداً من ههنا ...
 ونجوت مع هذا النفر من رفاق فقط إلى شاطئكم »
 ولم ينبس السيكلوب الجبار بكلمة ... بل أقبل
 نحوها ، وانقض على رجال كالصاعقة ، ثم أمسك
 بثنين منهم ، وأرسلهما في الهواء ، ثم ضرب بهما
 أرض الكهف ذات الثؤى ، فهشم رأسهما ،
 وانتثر المخ فوق الحجارة هنا ... وهنا ... وألقاهما
 بعد ذلك في الجر المتأجج حتى نضجا ... واستوى
 كالسبع الرئبال ، وطفق بهشهما ... ولم يمض وقت
 طويل حتى أتى عليهما ، غير مبق على عظمة واحدة
 أما نحن فبألأله السماء ... لقد كان هذا المنظر
 الفاجع يعصف بنفوسنا ، ولم نملك إلا أن نرفع
 الألف فنبتهل إلى چوڤ أن ينجيننا . وأن يرحمنا
 ولم يكن لنا مع ذلك من أمل في نجاة !
 وبعد أن أشبع الجبار نهيمته من هذا اللحم
 الآدى الغريص ، وبعد أن شرب من اللبن شرب
 الهيم ، انطرح بين قطعانه ، وجعل يرسل في

المفارة وشقوقها ... أما هو ، فقد أدخل قطعانه ،
 واحتجز ذكرانها في الفناء الخارجى ، ثم أخذ في
 حلب الأنثى في الرحبة الداخلية ... ونهض بعد
 ذلك فسد مدخل الكهف بحجر واحد كبير
 لو وضع على عريبتين عظيمتين لم يستطع عشرون
 ثور ضخماً أن ترحزحه من مكانه ... وجلس يحلب
 النعاج والماعز ، وكلما فرغ من واحدة أرسلها إلى
 جذعائها^(١) ترضع ما تبقى في ضرعها ... وكان
 يقسم لبنه قسمين ، فيحتفظ بأحدهما لشربه ،
 ويخص الآخر لزيدة وجبنه ثم فرع من هذا كله
 وأضرم ناراً عظيمة ما كادت تذهب حتى رأنا
 معاقين فوق ثؤى الكهف . فصاح بنا : « من هنا ؟
 وى ! من أنتم أيها الغرباء ، ومن أى البلاد ترحتم
 وفيم خصتم هذا الباب إلى هنا ؟ آفاقيون ؟ أم تجار ؟
 أم قرصان تعيثون في بلاد الناس ؟ » وزلزلنا زلزالاً
 عظيماً ، وكان صوته الأجنس الحشن يلقى الرعب في
 قلوبنا فتعتلج اعتلاجاً ... ثم إنى جمعت ما تبقى من
 وعي ، وما أبقى عليه الروح والهلع من إدراكى ،
 فقلت أجيبه : « نحن إغريقيون أيها العزيز وقد
 ذرعنا البحر اللجى شرقاً ومغرباً ، وتقاذفتنا فوقه
 كل ربح ، منذ بارحنا إليوم التى فتحتها الله علينا ،
 لأننا من عساكر أجا ممنون الملك ، ابن أتريوس
 الكريم ، قاهر طروادة ، ومبيد الطرواديين ...
 وها نحن أولاء ، قد لذنا بك بعد طول النصب ،
 فنضرع إليك أن تقى علينا مما أفاء چوڤ عليك ،
 وأن تردنا غانمين ... فبأمولانا أكرم مثوانا ،
 فنحن الأغراب في كنف چوڤ أبداً ، وأينما نول
 فانه معنا »

والكهف شخيراً مزيجاً . . . واقعد حدثتني نفسي أن أنقض عليه فأخوض في كبشيه بجزاري ، ولكن فكرة سوداء طافت برأسي ، حينما نظرت إلى باب الكهف فأبصرت الحجر الضخم الذي لا يطيق أحد أن يزحزحه ، وتذكرت الموتة الجاهلية المفزعة التي سمنوتها إن فعلت . . . فغنطت قنوطاً شديداً ، وأرسلت آهات الحسرة والندامة أنا وأصحابي ، وانتظرنا بقلوب فارغة تباشير الفجر ورأينا أورورا الوردية ترسل أول أشعتها من الكوى الصغيرة ، فهب السكاوب إلى قطعانه ، وأخذ في حلب إناثها ، وكلما فرغ من واحدة أرسل إليها صفارها ترضع وتنخب ؛ ثم إنه قبض على اثنين من رجالى وفعل بهما كما فعل بصاحبينا أمس ، حتى إذا فرغ من إفطاره ، هب إلى الحجر فزحزحه في سهولة ويسر ، كأنما كان يزحزح غطاء آنية ، ثم استاق قطعانه ، وأعاد الحجر إلى مكانه ، ومضى يرعى بهمه ، وبقينا نحن ندعو ثبورا . . . وفكرت ألف فكرة في وسيلة أنتقم بها من هذا المارد الوحش ، وتوسلت بمينرفا أن أستطيع . . . وانفجرت أسارى جفاة ، وأشرق وجهى بنور الأمل . . . ذلك أننى أبصرت بجذع زيتون مشذب أعده الجنى ليكون عصا يهش بها على قطعانه ، فقلت في نفسي : « ولم لا يكون في هذا الجذع خلاصنا ؟ » ، ثم إلى أمرت رجالى بـبـرئى أحد طرفيه ، وكان الجذع طويلاً جداً ، يصلح سارية لسفينة كبيرة يعمل فيها عشرون بحاراً . . . فأقبلوا عليه بنحتون ويبرون ، وأكبت أنا على نهاية الطرف أحده . . . ثم انتهينا من عملنا وأخفيها الجذع تحت القش الكثير الملقى في الكهف ،

(١) أوتيس Outis معناها (لا أحد) ولم يستحسن مترجمو هومر ترجمتها ، لأنها قد تعنى (ذو الأذنين الكبيرين) ولكننا نؤثر ترجمتها

قائلهم : « ماذا دهالك يا بوليفيم حتى تروعنا هكذا في ظلام الليل ، وحتى تقض مضاجعنا بصراخك الفظيع ؟ هل خفت أن يستاق أحد قطعمانك ، أم خشيت أن يقتلك أحد بقوة أو غدر ؟ » وقال بوليفيم وهو يتصدع : « آه يا أصدقائي ! إني أموت ! ولقد قتاني أوتيس^(١) ! » فقال قائلهم : « إن كان أوتيس - الذي هو لا أحد - قد ألحق بك أذى فما صنع بك هذا إلا جوف ؟ تجلد يا صاح ، وادع أبانا نيتيون ليساعدك ، يأتك من أعماق البهيم وتركوه وانصرفوا لشأنهم ، وخشكت أنافي سربقي لأنني استطعت أن أعمى عليهم بهذا الاسم الملقق المفترى . وما برح بوليفيم يبكي ويعول ويهزه الألم والأسى ، حتى زحزح الحجر الذي يسد الباب ، وجلس عنده ، ماداً ذراعيه لينع أحداً منا أن يقات أو أن يذهب ببعض أنعامه . . . إنه يحسبنا بالهاء مثله !! وجلسنا نعمل الفكرة بعد الفكرة ، ونرسم الخطط نلو الخطط لنجائنا . . حتى تاحت لي فكرة حسنة ، أيقنت أنها تفلتنا من هذا السجن السحيق إن كان شيء مستطيعاً أن يطلق سراحنا منه لقد فكرت وفكرت ، فبدأ لي أن لدى السيكلوب كباشاً كنازاً تستطيع أن تحملنا إذا ربط كل منا تحت بطن واحد منها . ولقد كانت الكباش سمينة حقاً ، ذات فراء كثة وقوة كبيرة فقامت من فوري فجذات من أغصان الصفصاف التي كان السيكلوب الشنيع بنام فوقها ، وجعلت من كل ثلاثة حبلاً واحداً ، ثم ربطت كل رجل تحت بطن كبش كبير قوى جملته بين كبشين لا يحملان أحداً ، بل يكونان وقاية للكبش الذي يحمل رجلاً

(٢) ليذكر القارئ أن معنى أوتيس (لا أحد)

وبه أسى في بلادي ! ولكنك وعدت أن تثبيني على ما قدمت لك من خمر ، فإذا عساك ما نحى ؟ » فاستهزأ السيكلوب وقال : « اطمئن يا صاح ! سأهب لك أن تكون آخر من آكل من إخوانك . . هذا هو جزاؤك ! » وتناوب وتناوب ، ثم انطرح وسط قطعمانه يغط في نوم عميق . . . وكان يصعد أنفاسه بقوة فتتقذف من بامومه شوائب من خمر ، ممتزجة بقضبات من لحم بشري . . . وقفزنا إلى جزع الزيتون فوضعنا طرفه المحدد المبرى في الجرج التاجج حتى تأجج مثله ، وبكلمات قليلة أثرت النخوة في نفوس إخواني حتى لا نخذلهم قواهم ، ثم استمنت الآلهة فابتعثت فينا قواها السحرية ، واستجمعنا كل ما فينا من منة اليأس ، ووضعنا الطرف المشتعل في عين السيكلوب المغفلة ، وحركنا الجذع وطفقت أنا أقلبه فيها من مكان عليل ، كما يفعل السحان الصناع بمثقابه في خشب السنديان . . . وانبعس الدم من عين السيكلوب الممياء ، وجحظ إنسانها كأنه عين حمئة من دم وعلز . . . وقصاراي : لقد كنا كالحدادد الماهر الذي يطفىء سلاحاً نحى في ماء بارد ! ! ولقد صرخ السيكلوب^(١) صرخة ردد أصداءها الكهف . . ثم رددتها الفيران والجبال المجاورة ؛ وذعرنا نحن ، فاصقنا بالشقوق والزوايا ؛ وراح الجنى الجبار يخبط في ظلام العمى بمد إذ انتزع الجذع المشتعل من عينه ، وهرول كالجبل نحو الباب فوقف عنده ، وطفق يولول ويهتف ويصيح ، ويدعو جميع إخوانه السيكلوبس كلاً باسمه ، فاجتمعوا إليه من كل فج عميق . . . وقال

(١) يحسن أن تلفت نظر القارئ إلى طبيعة السيكلوب وأنه لا يملك إلا عيناً واحدة

بينهما ... أما أنا فتعلقت بصوف الكباش الأخير ،
وبقيت ساكنة صامتة ، ومكثنا هكذا ننتظر الفجر
القدس الرهيب ، بعبون وكفة وقلوب واجفة ...
حتى بزغت أورورا فهروات الذكران كماداتها
المرعى ، وبقيت الأنثى السكى تحلب ، ونهادت
الكباش بالأنقال المعلقة تحتها وهي تكاد تنوء بها ،
وكان السيكاوب ما يزال يمول ويشكو بثه إلى
غير سميع ، وكان يلمس بيديه ظهور الكباش وهو
لا يدرى ما تحتها ، حتى إذا برز كبشى ، زلزلت
زلزالا ، وسمعته يقول له وهو يتجسس : « يا كبشى
الحبيب مالك استأنيت هكذا وكنت دائما سباقا
إلى المرعى على رأس القطيع تقضم الكلال الحلو ...
سباقا إلى الغدير ذى الخبز تهمل من مائه السلسيل ؟
بل كنت سباقا كذلك إلى مأواك هنا ... فى كل
مساء ؟ ويحى ويحك يا كبشى الحبيب ! لقد
أسيت لى ، وحزنت من أجلى ، وشمرت بمادى
صاحبك من الشمس الرقيم أوتيسس ، وأنباءه
اللاؤماء الفلوكين ... أوتيس الذى سحرتى بخمره ...
وبل له ؟ إنه لن يُفلس من الموت اليوم ! آه
لو كان قلبك مثل قلبى ، وآه لو كان لى بصرك الحديد
فيدلنى أين اختبأ أوتيس التيس ! إذن كنت
أحطم رأسه فوق هذا الصخر ، أوتيس الوغد ...
الذى اسمه لا أحد ! فهو لا يساوى شيئا ؟ »
ثم أفلته الغفل فانطلق الكباش فى إثر رفاقه ،
حتى إذا كنا بعيدين من الكهف ومن صاحبه
قفزت من مكنتى ، وعدوت فأطلقت سراح رفاقى ،
وسقنا نخبة من أحسن النعاج إلى حيث سفينتنا
المتخبئة فى الجون الهادى ... فى ظلال الحور
والسنديان ... وأبحرنا من فورنا فوصلنا إلى إخواننا
فى الجزيرة الأخرى الذين هناؤنا بقدر ما ذرفوا

الدموع على خحايا بوليفيم ! واعتزنا الأبحار
فاستمد كل فى سفينة ، وأقلعنا لا نلوى على شيء .
حتى إذا كنا على مسافة مبالغ الصوت من الشاطئ ،
نهضت وجملت أهتف بالسكاوب بوليفيم هكذا :
« بوليفيم ! لقد بؤت بما صنعت يدك ، وكان جزاؤك
وفاقا ، أيها النذل الخسيس ! لقد حسبت أنك
تقتال رجال قائد لا سلطان له عليك ، ولا قدرة له
على الانتقام منك ، فرحت تغتذى كالوحش باحم
ضيوفاك الذين لجأوا إليك وتغياوا ظلك ... فاهنا
الآن أيها الهولة بما حل بك ! » . وما كدت أصمت
حتى ثار نازره وغلث مراجله ، وانتزع صخرأ
كبيرأ من شعاف الجبل ، وقذف به فى قوة وعنقوان
ناحية الصوت ، فهوى الصخر على مقربة منا ، وكاد
يهشم سكان السفينة ؛ وقد انفرج البحر ، وانشطرت
أمواجه ، وارتدت السفينة نحو الشاطئ حتى اكادت
تفوص فى رماله وتتحطم على أواذيه ، لولا أن أمسكت
بالسارية الكبرى وجملت أدفع وأدفع حتى عادت
السفينة إلى مكانها فى البحر ... وابتعدنا قليلا ...
وجاهد رجالى بمجازيفهم حتى كنا على مسافة هى
ضعف المسافة الأولى ... وهنا ، حاولت أن أصبح
بالسيكاوب مرة أخرى ، غير أن إخوانى حالوا بينى
وبين ذلك ، وسمعت بعضهم يقول : « ويك
أوديسيوس ! لم تهيج الجنى بكلماتك ، وقد كاد
الحجر الذى قذفه إلينا يودى بنا جميعا ويحطم سفينتنا
على الشاطئ ؟ » أما نحمد الآلهة التى أنقذتنا من
ساعديه الجبارتين ، وهو لو سمع ركزأ من أحدنا
لهشمتنا جميعا قبل أن تغادر غاره ؟ » على أننى
ما أصخت لهم ، بل هتفت بالمسارد الجبار أقول :
« أيها السيكاوب الطاغى ! إذا سألك أحد من عمالك
فقل له أعمانى أوديسيوس ابن إيريس الأيثاكي ! »

يرنق فوقنا ، وسقط وراءنا بمقربة من السكان ،
فانشطر البحر إلى فرعين كل فرق كالطود العظيم ،
ثم انحسر الماء فجرت السفينة إلى الشاطئ مرة
أخرى ، ولكنها هذه المرة أرست على الشاطئ
الآخر الذي أرست عنده سفائننا الأخرى ، حيث
أقام إخواننا يشهدون المعركة الهائلة ويجزعون ...
ثم إننا نزلنا إلى البر ، وفرقنا الأنصبات من نجاج
السيكلوب بيننا . وكان من نصيبي ذلك الكباش
المقدى الذى نجاني ، فذبحته على رمال الشاطئ
قرباناً لجوثر التعالى ... والأسفاه ! إن أكبر ظنى
أنه لم يقبل قربانى ، لأن أكثر سفائننا أغرقت
فيما بعد ... وأكلنا هنيئاً ، وشربنا الخمر المعتقة ،
وانتظرنا مد البحر ، ولكنه استأنى علينا ، فنعنا
حتى نضرت أورورا جبين الشرق بالورد ،
ونفضنا ... ونشرنا الشراع وأصلحنا القلاع ،
وأبحرنا ، بقلوب واجفة ، ونفوس نال منها الهلع ،
لأنذين بالفرار
(يتبع)
دربنى فئسب

في الطريق

كتاب جديد يصدر فى سبتمبر

بقلم الأستاذ

أبراهيم عبد القادر المازنى

أكثر من ٦٠ قصة فى ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش

الثنى بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف

بشارع فاروق رقم ٢٢١ بمصر

الاشتراك يقفل فى منتصف أغسطس

وتأوه المارد حتى كاد يتصدع وقال : « وبلى منك !
لقد صدقت النبوءة ، وتحقق ما قال تلموس يوريميد
النبي الذى شب بيننا وظالمنا تحدث إلينا معشر
السيكلوبس عما خبأ القضاء فى صحف الغيب لنا ؛
لقد قال لى إنى سأفقد بصرى بواسطة رجل من
البشر يدعى أوديسيوس ، فظلت أنتظره ، وكنت
أحسبه مخلوقاً طويلاً عظيم الجسم بادی القوة ...
فاذا هو أنت أيتها القزم - اللامى ! - الذى
قهرتنى أولاً بالخر ثم أذهبت بصرى وأطفأت النور
من عيني ! أوه ... ولكن ... عد إلى يا أوديسيوس
وحل على ضيفاً من جديد ، أكرم مثواك ... وأصل
من أجلك لأبى ... نيتيون ... الفخور بى ، أن
يمهد لك البحر ، ويطامن من تحتك الموج حتى
تصل إلى بلادك سالماً ... إنه وحده هو اللطيف
بى ، وليست قوة فى الوجود غيره تستطيع أن
تشغيني وترد على بصرى ! » فقلت له : « بنفسى
لو استطعت فقفزت بك من حالى إلى قرار جهنم
فلا يقدر أحد على رد بصرى إليك - حتى ولا أبوك
هذا ! » . وغيط السيكلوب وحنق ، ورفع كفيه
إلى السماء بصلى لأبيه هكذا : « أبتاه نيتيون المحيط
بالأرض اسمع دعائى ، يا صاحب الشعر اللازوردى ،
إذا كنت حقاً أبى ، وإذا كنت حقاً تفخر بنيتونى
فاحرم هذا القزم المدعو أوديسيوس بن ليرتيس
الأيثاكي من المود إلى بلاده ، إلا أن يكون هذا
قضاء فى الأزل فأثم العقاب فى طريقه ، وشرده
طويلاً فى البحر ، وأغرق سفائنه واقبر فى الأعماق
أصحابه ، وأحوجه إلى ذل السؤال وطلب المعونة
من الناس ليدوه بركب يعود عليه ؛ وإذا عاد فلياق
الهم والثم مقيمين ببابه ... آمين ! » وأبى نيتيون ،
ورفع السيكلوب حجراً أضخم من الأول ، وجعل
يسوم به بكلتا يديه ، ثم قذفه قذفة هائلة ، فذهب